

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نحو العدد ٢٠ ملياً

الاععلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المتول

أحمد حسن الزيات

الطبعة

جار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

السنة الثالثة عشرة

« القاهرة في يوم الإثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٤ - ٣ سبتمبر سنة ١٩٤٥ »

العدد ٦٣٥

الشعر والقصة

للأستاذ عباس محمود العقاد

(الرسالة) : « أن القصة دراسة تقنية لا غنى عنها في فهم سرائر النفوس ، وليس الشعر أو النقد أو البيان المشور بمنع عنها ، لأنها في ذاتها أحد العناصر التي يحتاج إليها قارى الحياة »

يستطيع الأديب هذا كما يستطيع أن يقول : « إن الحديد معدن نافع لا غنى عنه في تركيب الآلات وبناء البيوت ، وليس الذهب أو الفضة أو الجواهر النفيسة على اختلاف بمنع عنها ، لأنه في ذاته أحد المعادن التي يحتاج إليها في الحرب والسلام وفي الصناعة والتجارة »

ولكنه بعد كل هذا يذهب إلى السوق ليشتري الحديد ، فلا يبدل فيه عن الذهب والفضة ، ولا ينكر على التاجر أن يزن له درهماً من النقد برطل من الحديد القيد

وقد قلنا في كتاب « في بيتي » إن القصص قد يرجح الشاعر في اللذة الذهنية والقرينة الفنية ، ولكننا لا نقبل القصة على الشعر من أجل ذلك كما لا نقبل الجيز على التفاح ، لأن الأرض التي أثمرت الجيز كانت في حالة من الحالات أخشب وأجود من الأرض التي أثمرت التفاح

وينفنا مثل الجباد هنا كما ينفنا مثل التبات ، فإن تاجر الحديد قد يكون أغنى وأقبر من تاجر الذهب ، وقد يكون النجم الذهبي أقل ربحاً ومحصولاً من النجم الحديدي في حالة من الحالات ، ولكن قوم المعدنين لا يتوقف على قوم التجار

حين يقول القائل إن الذهب أنفس من الحديد يقرر شيئاً واحداً ، وهو أن الحديد لا يدرك عن الذهب في سوق البيع والشراء ، ولكنه لا يقرر إنشاء الحديد ولا استخدام الذهب في المصانع والبيوت بديلاً منه ، ولا يعني أن الذهب يتغنى عن الحديد أو عن غيره من المعادن في غرض من أغراضه

كل ما يقرره شيء واحد وهو أن سعر الذهب أغلى من سعر الحديد ، ولا لوم عليه في ذلك ، وإن قيل له إن الحديد أنفع وأشيع من معادن الزينة والتجميل

ونحن قد فضلنا الشعر على القصة في سياق الكلام عليهما من كتاب « في بيتي » ، فكل ما قلناه إذن هو أن الشعر أنفس من القصة ، وأن محصول خمسين صفحة من الشعر الرفيع أوفر من محصول هذه الصفحات من القصة الرفيعة

فلا يقال لنا جواباً على ذلك إن القصة لازمة ، وإن الشعر لا يغنى عن القصة ، وإن التطويل والتهديد ضروران من ضرورات الشرح القوي لا حيلة فيه للرواة والقصصين

ويستطيع الأديب الأستاذ محمد قطب أن يقرر كما قرر في

ضربة لازب على كل كاتب ، ولا يكون قصارى القول فيه إلا كقصارى القول في الذهب والحديد : الحديد نافع في المصانع والبيوت ، ولكنه لا يشتري بطن الذهب في سوق من الأسواق

وكتب العالم الفاضل الأستاذ على الهامى المدرس بالأزهر يعقب على المقياسين اللذين ذكرتهما في الكتاب للمفاضلة بين الشعر والقصة ، وهما « أولا » أن القصة كثيرة الأداة قليلة المحصول ، و « ثانيا » أن الطبقة التى تروج بينها القصة لا ترتقى في الثقافة والذوق والتميز مرتقى الطبقة التى تفهم الشعر وتشرع بعمانيه وقد قال الأستاذ : « فالمقياس الأول تحدث عنه علماء البلاغة

والنقد فكانوا يرون أن خير الكلام وأبلغه ما جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل ، وهذا المقياس — وإن صلح للمفاضلة بين عبارة وعبارة ، أو بين بيتين من الشعر ، أو قطعتين من النثر في موضوع واحد ، فإنه لا يصلح للمفاضلة بين القصة والشعر . وذلك أن فائدة القصة ليست مقصورة على الفرض الأسامى الذى وضعت من أجله ، ولم تكن خمسون صفحة في قصة ما ولو بلغت الطبقة الدنيا في القصص تمهيدا لفائدة تقال في سطر أو أسطر ، ولكن هناك التصوير الرائع والوصف الدقيق لحركات الأحياء ونوازع النفوس »

والتي نقوله للأستاذ الفاضل إن الموازنة بين الشعر والقصة لا تكون إلا بذلك الميزان الذى قال إنه لا يصلح للمفاضلة بينهما . لأنك إذا قلت إن هذه القصيدة أبلغ من تلك لجمعها المعنى الكثير في اللفظ القليل ، فإنك لا تقاضل بين فنيين أحدهما قاصر بطبيعته عن مرتبة الفن الآخر ، ولكنك تقاضل بين كلامين أحدهما فاضل في الفن نفسه والآخر مفضول فيه

أما إذا قلت إن الشعر أفضل من القصة ، لأن الشعر من شأنه أن يجمع المعنى الكثير في اللفظ القليل ، فتلك هي المفاضلة بين طبيعة الشعر وطبيعة القصة ، وإن بلغت في بابها غاية الإيقان

ونرجع إلى التمثيل بالذهب والحديد فنقول : إن ترجيح ذهب على ذهب بخفة الوزن يدل على أن أحد النهيين ذهب ناقص وأن الذهب الآخر ذهب كامل ، ولا يفيدنا شيئا في الموازنة بين هذا المعدن وغيره من المعادن

أو المتجمين ، لأنهما لا يرجعان إلى نوع واحد من التقدير والحساب ويقول الأستاذ محمد قطب : « قرأت سارة وقرأت في الديوان ما يقابلها من شعر ، وهو شعر جيد رفيع ، ولكننى لا أستطيع مع ذلك أن أقول إننى استغثت به عن قراءة سارة ، أو إن سارة ليس فيها جديد مفيد من الدراسات النفسية العميقة ... »

فالتى نقوله إن الأستاذ غير مطالب بأن يقول هذا في باب الموازنة بين الروايات والقصائد ، لأن موافقته على رأينا في الشعر والقصة لا تقتضيه أن يحجو القصة وأن يثبت الشعر وحده ، وإنما يقيهما ويبقى معهما الترجيح بينهما ، ويقدم الشعر على القصة في هذا الترجيح

ولا حاجة به إلى جهد طويل للتسليم بفضل الشعر على القصة في هذه الموازنة ، لأنه ينتهى إلى هذه النتيجة إذا سأل نفسه : أيهما أوفر محصولا من الشعور والثروة النفسية ؟ ألف صفحة من الشعر المتقى ، أو ألف صفحة من الرواية المتقاة ؟

أما أنا فجوابى على ذلك جزما وتوكيدا أن صفحات الشعر أوفر وأغنى ، وأن معدن الشعر من أجل ذلك أنفس وأغلى من معدن الرواية

فإذا كان هذا رأيه فقد اتفقنا

وإذا لم يكن رأيه ورأى متفقين في ذلك ، فهذا هو الجمل وهذا هو الجمل كما يقولون في أمثالنا الوطنية : هات ألف صفحة من رواية أو عدة روايات ، وخذ ألف صفحة من الشعر الرفيع ، وارجع إلى حكم القراء فيما شعروا به بعد قراءة القصائد وقراءة الحكايات ، أو قدر ما يشعرون به على سبيل الظن والتخمين ، واحتفظ برأيك بعد ذلك كما تشاء

إننى لم أكتب ما كتبه عن القصة لأبطلها وأحرم الكتابة فيها ، أو لأننى أنها عمل قيم يحسب للأديب إذا أجاده فيه

ولكننى كتبه لأقول « أولا » إننى أسترشد من دواوين الشعر ، ولا أسترشد من القصص في الكتب التى أقتنها . وأقول « ثانيا » إن القصة ليست بالعمل الوحيد الذى يحسب للأديب ، وإنها ليست بأفضل الثمرات التى تثمرها القرينة الفنية ، وإن اتخاذا معرنا لتحليل النفس أو للإصلاح الاجتماعى لا يفرضها

ومما لا شك فيه أن عدد النسخ التي تصدر من ديوان الثني في الطبعة الواحدة أقل من عدد النسخ التي تصدر من ألف ليلة وليلة ، أو من الروايات المصرية التي تتداولها الأيدي مرة في كل شهر أو مرة في كل أسبوع ، وهذا مع إقبال القراء على ديوان الثني لفرض غير لذة المذاكرة ، وهو غرض الدرس أو المذاكرة ، ومهما يكن من طبقة القراء الذين يقبلون على تلك الدواوين وتلك الروايات ، فلا نزاع في أن الروايات إنما تروج لأن تحصيل لئسها أسهل وأقرب من تحصيل لذة الدواوين ، وليس لارتفاعها عليها في طبقة الفن ومملكة التأليف

وقد يأكل الفقير اللحوم ويأكل النني البقول ، ولكننا لا نستطيع أن نقول من أجل ذلك إن البقول طعام الأغنياء ، وإن اللحوم طعام الفقراء

وكذلك قد يوجد من العامة من يقرأ الشعر حتى الرفيع ، كما يوجد من الخاصة من يقرأ القصة حتى الوضع منها ، ولكننا لا نستطيع أن نقول من أجل ذلك إن الشعر هو قراءة الجاهلاء ، وإن القصة هي قراءة الشقيين

عباسي محمود العفاري

ولكننا إذا قلنا إن قليل الذهب أغلى من كثير الحديد ، فلا يلزم من ذلك أن الحديد ناقص في صفاته المدنية ، لأنه قد يكون في بابه على غاية من الجودة والمتانة ، وإنما يلزم منه أن معدن الذهب أغلى من معدن الحديد

وهنا بعينه الذي قصدنا إليه حين قلنا إن قليل الشعر يحتمل من الثروة الشعرية ما ليست تحويه الصفحات الطولات من الروايات ، فإن احتياج القصة إلى التطويل لبلوغ أثر الشعر الموجز هو وحده الذي يبين لنا أن تفتاراً من القصة يساوي درهماً من الشعر ، وإن القصة في معنيتها دون الشعر في معدنها ، لأن النفاسة هي أن يساوي الشيء القليل ما يساويه الشيء الكثير

أقول الأستاذ إن خمسين صفحة من القصة لازمة للتصوير والحوار الذي يتحقق به سياق القصة ؟

حسن . فهذا للزوم نفسه هو الذي ينزل بها دون منزلة الشعر في متعة التهنين والخيال ، لأن الشعر بغير حوار وبغير تهديد من أمثال تلك التهديدات القصصية يعطينا في خمسين صفحة أضعاف ما نعطاء في تلك الصفحات ، بل هي لا تعطينا في القصة شيئاً إلا إذا وصلت بعد التهديد والحوار إلى مادة الشعر في لبائها ، وهي التصوير والخيال

وقال الأستاذ عن القياس الثاني : « أما القياس الثاني فأحسبه ليس كذلك فاصلاً ، فالطبقات الدنيا في الثقافة أو في الأخلاق لا تروج عندها إلا أنواع خاصة من القصص ليست هي التي يقايل فيها الكاتب وبين الشعر ، وكما يروج عندهم نوع من القصص رخيص كذلك يروج عندهم أنواع من الشعر رخيصة ، على أننا نجد أن ميل العامة ليس دائماً إلى القصص ، فهناك من الأمم ما يميل عاصتها وخاصتها إلى الشعر ويروج عندهم ... »

وقول نحن إن ميل بعض العامة إلى الشعر صحيح ، ولكن حين يكون الشعر قصة ، وحين يكون الشعر من قبيل ملاحم الملالي والزير سالم . أما حين يكون الشعر وصفاً كوصف ابن الروي أو البحتري ، وحكمة كحكمة أبي الطيب وأبي العلاء ، ونظراً كفتخر الشريف وأبي قرياس ، فالعامة لا تفضله على القصص التي تهتمها ، وإن أسفت غاية الإسفاف

وزارة التجارة والصناعة

مصلحة المناجم والمحاجر

تقبل المصلحة عطاءات لغاية ظهر يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٥ عن توريد مهمات مختلفة (أسياخ ومسامير وكيماويات) لعمل تكرير البترول الأميرى بالسويس ويمكن الحصول على شروط هذه المناقصة من مخازن المصلحة بالقاهرة نظير مبلغ ٢٥٠ ملياً . على أن تقدم الطلبات على عرض حال دسنة فثة ٣٠ ملياً .

٣٩٩٣

مراكش العربية تستصرخ

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

—»»»»»—

من كان يظن — في أثناء الحرب العالمية الثانية — أن هؤلاء الفرنسيين الذين ملأوا الدنيا ضياعاً ، ورفقوا عقائرهم بالحرية والعدالة والمساواة ، وبحقوق الأفراد والأمم ؟ من كان يظن أنهم يجيئون في أعقاب حرب ضروس وهيئة طاحنة ، قد ضربت وشب ضرامها ، وأنت على الملايين من البشر قذراً وأسراً وتشريعاً ، فلا يكون لهم منها عبرة ولا مزدجر ، ولا تؤثر فيهم الثلاث ، فيسلطون جبريتهم على الأمم الضعيفة التي منيت باستعمارهم وابتليت بدنائهم ، ويحكمونها بما استطاعوا من قوة الباطل وأساليب الظلم التي لا تعرف الرحمة الإنسانية ، ولا الشفقة التي يجب أن تكون بين بني الإنسان ! !

بالأمس رأينا كيف بطش الفرنسيون بأهل الجزائر في شهر مايو الماضي ، فضربوا البلاد ببوارجهم الحربية وطياراتهم المدمرة ونكلوا بالأحرار من أبنائها

واليوم نقرأ في إحدى الصحف اليومية (١) أن الحكومة الإسبانية تهج نهج الفرنسيين وتسير على غرارهم في التكميل بمراكش التي أصبحت بالاستعمار الإسباني ، كأنها سياسة مرعومة وخطة مرسومة من المستعمرين لا عيب لهم عنها ولا عيب ، وهو أن يسلطوا قوتهم القاشقة على من يقع في حبالهم من الأمم الضعيفة حتى تخف وتخشع وتضرب عليها القلة والمكثة ، فلا يرتفع لها صوت بحق ، ولا تجار بدفع ظلم ، فأين مبادئ الحرية والعدالة التي أغانها أقطاب الأمم المنتصرة ؟ وأين الوصايا الإنجيلية التي نشروها في الخافقين ؟ بل أين الحريات الأربع التي بشروا بها العالم الجديد وزعموا أنها تكفل تحقيق عهد يسوده السلام والأمن والحرية والعدل ؟ !

إن الحكومة الإسبانية قد فتحت باب الهجرة على مصراعيه

(١) المصري في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٠

للإسبانيين يتدفقون منه على مراكش العربية الإسلامية ، ومنحهم من وسائل التيسير والإغداق ما يمكن لهم في أرضها ، ويعلمهم يتحكمون في رقاب أهلها ، وما يصيرهم بعد قليل من الزمن أكثر عدداً من أبناء البلاد ، وأقوى عدة وأكثر مالا ، وأغز نفراً ، وبذا يتسنى لهم جعلها جزءاً متما لإسبانيا ، وإقليماً من أقاليمها ، كما تحاول ذلك فرنسا في الجزائر ، وليس أقوى دليلاً ولا أسدق شاهداً على ذلك من أن الإسبانيين قبل الحرب الأهلية لم تكن نسبتهم في مراكش تعدو ٧٪ من سكانها ، فأصبحوا بعد سبع سنين قد ذرّفوا على تلك أهلها : سياسة ما أشبهها بسياسة الصهيونيين في فلسطين ، يقصدون من ورائها التغلب على أبناء البلاد بما يكون لهم من كثرة العدد وقوة الحكم والاستعمار ، ويقصدون إلى قهر العرب والمسلمين بحملهم على التجنس بالجنسية الإسبانية مكرهين ، أو بطردهم من البلاد صاغرين !

ولكي يتفد الإسبان تلك السياسة الباطشة ، وبحقوا مآربهم الظلمة ، ويسيروا في سبيل الإثم والعدوان بنجوة من الرقباء ، ومنأى من الأحرار الذين يفضون للحق ، ويشودون على الظلم — أحاطوا بالراكشين ، وأخذوهم بأساليب العنف والاستبداد ، وسلطوا عليهم وسائل الإخافة ، واسترهبوهم وجاءوا بأمر عظيم ، فاعتقلوا الزعماء في بيوتهم ، ونفوا الأحرار إلى بلاد غير بلادهم ، ثم عمدوا إلى الصحف فمقلوا ألسنها ، وحطموا أعلامها ، وقضوا على حريتها ، ثم أمعنوا وعتوا عتواً كبيراً : فالتوا كثيراً من الوظائف الشرعية ، ومنعوا الاجتماعات والمحافل العامة ، حتى المحاضرات العلمية زادوا الشعب عنها وحالوا بينه وبين الاستماع إليها —

ظلم عبقرى ، وجور ليس له نهي ، لا يصدر إلا عن نفوس قد تجردت من نوازع الخير ، وقلوب قد ران عليها ما اكتسبت من الإثم والعدوان ، وحيل بينها وبين خلال البر والرحمة والإحسان ألم يحدثكم التاريخ — معشر الإسبان — بأن أسلاف أولئك المراكشين من العرب والمسلمين قد فتحوا بلادكم فأنفذوكم من ظلم الونداليين ، وجور القوطيين ، ثم أظلوكم بلواء العدل والرحمة ونشروا بينكم المبادئ السامية والعلوم النافعة ، وكان شعارهم في حكمهم : « لأهل النعمة ما لنا وعليهم ما علينا » ، فلم يستيجوا

بصر عبر وفاء النيل

متى نتحكم في نهرنا ؟

للأستاذ وديع فلسطين

وجدير بنا في هذه المناسبة أن نعرض صفحة مما نهضت به دولة زراعية ، فرفت مستوى المعيشة فيها وأصلحت أراضها وزعمت الأمم الزراعية قاطية .

هذه قصة نهر عظيم في الولايات المتحدة يدعى نهر تينيسي Tennessee استطاع الأمريكيون أن يتحكموا فيه بعد ما كان يكتسح المحاصيل والنباتات ويخرب البيوت ، فأمكن الانتفاع به إلى أقصى حد ممكن ودرء خطره الذي كان يهدد الدور والحقول على ضفتيه .

يمتد نهر تينيسي من الشرق إلى الغرب في المنطقة الوسطى من الولايات المتحدة ، وهو لا يبلغ في طوله مبلغ نهر النيل لأن طول النهر الرئيسي ١٠٤٠ كيلو متراً بينما يزيد طول النيل على ستة آلاف من الكيلومترات . غير أن الأراضي الصالحة للزراعة في وادي تينيسي تبلغ مساحتها ١٠٥٠٠٠٠ كيلو متر مربع في حين أن مساحة الأراضي الصالحة للزراعة في مصر لا تزيد عن ١٣٠٦٠٠ ميل مربع . ونهر تينيسي ، على النقيض من نهر النيل الذي يخلو مجراه في مسافة طولها ١٦٠٠ كيلو متر من الأنهار الفرعية ، غني بمئات من الأنهار الصغيرة التي ترتفع في الجبال في هذه المنطقة من الولايات المتحدة . وحينها يهطل المطر الغزير

قديمًا قالوا « مصر هبة النيل » ، وما كانوا بذلك يمزحون أو يلغون الكلام على عواهنه ، وإنما قرروا حقيقة أثبتت الأيام صوابها ، وهي أن ماء النيل آت من شيء في مصر ، آت من حديدها ومعادنها وذخنها وزيتها .

وما فتننا نسمع من ربيع قرن من الزمان أحاديث تستطيعها الأذن عن مشروعات النيل وضبط مائه والانتفاع بكل نقطة منه واستغلاله في زراعة الصحراوات وو... مما يروق لذوى الخيال الواسع أن ينساقوا وراءه . ولو أننا حولنا بصرنا إلى غيرنا من الدول الزراعية ودوننا أساليبها في الزراعة وضبط الماء ، وقلدناهم فيما نجحوا فيه لكان لنا اليوم أن نفخر بنهر أصبحنا أسياده بعد ما كان سيدنا ، ونحكمنا فيه بعد ما ظل أربعة آلاف من السنين أو يزيد يشمخ يتحكمه فينا .

وقد احتفلت مصر في الأسبوع الماضي بعيد وفاء النيل .

لهم النصر البين

وللحرية الحمراء باب . بكل يد مضرجة يدي

وعلى الجامعة العربية أن ترفع الصوت عالياً بالدفاع عن العروبة والإسلام في تلك البلاد ، فإن حقوق العرب والمسلمين لا تتجزأ ، وهي واحدة في كل مكان ، فراكش والجزائر وغيرها من البلاد المهيضة الجناح يجب أن تدخل في نطاق الجامعة لترعى حقوقها وتؤد جوار القاسطين عنها ليكون التعاون شاملاً ، وعمل الخير تاماً يشمل العرب والمسلمين أجمعين

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

من أصغر الخطب

لأنفسهم أن ينتهكوا حرمانكم أو يسلبوكم حقوقكم ، أو ينتزعوا منكم دياركم وأموالكم ، بل عشم وإلزام إخواناً متساوين في الحقوق والواجبات ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى أو بعمل صالح .

تقد شيد العرب والمسلمون في الأندلس حضارة قامت على دعائم الحكم الصالح والعلم النافع ، حتى سارت النارة التي يشع منها نور المدينة والرفان في أسبانيا وسائر أنحاء أوربة ، فلم تنكرونها طارقتهم ، ولم يجحدون فضلهم وهم أساس نهضتكم وقوام حضارتكم ؟ ألا فاركزوا للمراكشيين يلازم ، وادفعوا عنهم نير استبدادكم ، واعلموا أنهم أمة أحرار لن يكفوا عن الجهاد ، ولن يرتضوا باستقلال بلادهم وحرمتها بديلاً ، ولسوف يبذلون كل من يخلص وغال ، ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم حتى ينالوا حقوقهم ويكتب

Smoky and Blue Ridge يصب نهر تينيسى من ارتفاع ٩٠٠ متر عن سطح البحر في نقطة تنخفض إلى ٩٠ متراً في ولاية كنتاكي حيث يتصل بنهر أوهايو . ويصب نهر أوهايو بدوره في نهر السيبي . ويقدر معدل هطول الأمطار في السنة في الوادى بنحو ١٣٢ سنتيمتراً ويبلغ الهبوط السنوى في بعض الجهات ٢٠٠ سنتيمتر .

وفي يوم ١٠ أبريل ١٩٣٣ ألقى الرئيس روزفلت خطاباً في الكونجرس - وقد أسلفنا الإشارة إليه - لخص فيه الزايم المتصورة لشروع وادى تينيسى فقال : « إن الشروع إذا نفذ بكليته سيؤدى حتماً إلى فوائد جمة ؛ فتروى الحقول التى تصل إليها مياه الفيضان ، ويمتد تأكل التربة وتصاد زراعة الغابات ، ويؤدى إلى عدم إهمال زراعة الأراضي المتطرفة كما يؤدى إلى انتشار الصناعة وتنوعها . وبالإجمال فإنه يؤدى إلى استغلال جميع مرافق الولايات المتحدة لمصلحة الملايين من الأهالى في جميع الولايات . كما أنه يبعث الحياة في جميع مظاهر الحياة وكل ما يهم الإنسان » .

واقترح الرئيس لإنشاء إدارة وادى تينيسى إصدار تشريع لتأليف « هيئة لها سلطة كسلطة الحكومة وتمتع بميزى المرونة والتوثب شأنها في ذلك شأن الهيئات الأهلية » . وقد وافق الكونجرس على مشروع قانون تأليف إدارة وادى تينيسى يوم ١٧ مايو ١٩٣٣ وذيله الرئيس روزفلت بإمضائه .

ونص في ديباجة قانون إدارة وادى تينيسى على أهداف المشروع . ومن تلك الأهداف تحمين حالة الأراضي الزراعية والتحكم في فيضان نهر تينيسى وإعادة زراعة الغابات واستغلال الأراضي المتطرفة في الوادى وتحمين حالة الزراعة والصناعة فيه . وخولت لها سلطة نزع ملكية الأراضي لبناء السدود والخزانات ومحطات توليد القوى وغيرها من المنشآت . وخول لإدارة وادى تينيسى الحق في بيع ما يفيض من القوة الكهربائية إلى الشركات والأفراد والهيئات المختلفة فضلاً عن الولايات والمقاطعات ومجالس البلديات . وتكون الأولوية في الشراء للولايات والمقاطعات ومجالس المديرات .

ويستخدم في الوقت الحالى ٢١ سداً لضبط الماء في نهر

في الريع ، تتلى هذه القروع وتفيض على شطآنها . وكان نهر النيل يختلف ورايه مقادير وافرة من القرن ينفذ التربة ويمزها ، فإن أنهر وادى التينيسى يختلف وراها كذلك غربياً يهب الحياة للنباتات والنباتات .

وكان موضوع ضبط نهر تينيسى والروافد التى تصب فيه أساساً لشروع كبير يعرف اليوم باسم « إدارة وادى تينيسى » (١) وقد بلغ في مايو الماضى العام الثانى عشر من حياته . وفي الواقع أن « الإدارة » مصلحة تابعة لحكومة الاتحاد . غير أنها تختلف عن سواها من الصالح الحكومية في الولايات المتحدة لأن سلطتها تمتد إلى منطقة معينة من البلاد ، لا إلى البلاد بأسرها . والوادى الذى يشق نهر تينيسى طريقه فيه يقع في أجزاء لسبع ولايات في الجزء الأوسط من ولايات أمريكا المتحدة . وتلك الولايات هى : نورث كارولينا وفرجينيا وجورجيا وألاباما وميسيسيبي وكنتاكي وتينيسى . وما مشروع وادى تينيسى إلا لاستثمار موارد منطقة كانت الأمطار الغزيرة تفسدها وكانت الفيضانات الكثيرة لأنهر كثيرة تصب في وادى تينيسى فتخر به وتزيل معالمه .

وفي مسهل المدة الأولى لرئاسة الرئيس الراحل الستر فرنكلن روزفلت ، أتمى الرئيس على مشروع إنشاء إدارة وادى تينيسى وقال في رسالته إلى الكونجرس في ١٠ أبريل ١٩٣٣ : « إذا وقفنا في هذا ، استطعنا أن نسير بخطوة خطوة في سبيل تحمين الموارد الطبيعية الأخرى الكبيرة داخل حدود بلادنا » . وبعد ثلاث سنوات من ذلك التاريخ ، وضع الستر روزفلت ستة مشروعات مماثلة لشروع وادى تينيسى .

وتقوم مشروعات روزفلت السبعة جميعاً على مبدأ مشترك وإن اختلفت في كيفية تطبيق هذا المبدأ في المناطق المختلفة . ويتلخص المبدأ في أن يطبق على مجال واسع وتتولى إدارته هيئة عامة تهدف إلى استغلال الموارد البشرية والطبيعية دون أن تتأثر باليول الحزبية .

ويجرى نهر تينيسى وكبرلند في منطقة مساحتها ١٠٥٠٠٠ كيلو متر مربع ، وعند النبع في جنال سموكى وبلورج

وتكسيهم مناعة وجلداً .

وانشرت الصناعة في الوادي بفضل إدارة وادي تينسي . وزاد إنتاج الألومنيوم والمنطاط والدقيق والمواد الكيميائية اللازمة للحرب كقنترات النشادر وهي مادة هامة في صناعة المفجرات القوية ، واستغل في أثناء الحرب الأخيرة ٧٥ في المائة من قوى إدارة وادي تينسي في إنتاج المواد الحربية .

وأُنشئت إلى جانب هذا المشروع الضخم مشروعات أخرى تتصل بالحياة اليومية لكان هذه المنطقة فضلاً عن مشروعات توفر قوى كهربائية رخيصة وتحمّن وسائل الزراعة والإنتاج الصناعي ، وشيدت آلاف من المنازل الرخيصة وانتشرت المبادئ واتخذت وسائل مكافحة الملاريا ، ونظمت الهيئات الجماعية للتسليّة ، وأسست هيئة كبيرة للعناية بصحة سكان الوادي عناية تامة .

وأصبحت إدارة وادي تينسي نموذجاً حياً للتنظيم الإقليمي ولفتت أنظار العالم كله . فزارها رجال من جميع بلدان العالم من

مزارعين ومهندسين جاءوا ليتخصصوا في أعمال الإدارة . وسمي مهندسو إدارة وادي تينسي إلى بلدان أخرى ليقموا فيها مشروعات مماثلة أو ليعاونوا في حل مشكلات الزراعة وتوليد الكهرباء فيها . وفي يونيو ١٩٤٣ كتب المستر جوليان هكسلي النظام

البريطاني والكتاب المعروف مقالاً قال فيه : « إن فكرة إدارة وادي تينسي على أساس إقليمي — كاستغلال نهري واد مثلاً —

أصبحت فكرة يدين بها العالم أجمع . وإن آراء الإدارة وبساتينها تعمل على إرشاد هيئات جديدة مماثلة ونموها ... وأجريت دراسات ليتمكن تنفيذ مشروع مماثل على نطاق دولي بدلاً من النطاق الوطني الضيق ، ومن شأن هذا المشروع الدولي أن يحد من سلطة دول العالم شأنه في ذلك شأن إدارة وادي تينسي التي تعد من سلطة الولايات وخاصة فيما يختص بالحقوق والحدود » .

وجاء في ختام تقرير خاص يبحث في موضوع الإدارة :

« إن بيت القصيد في مشروع وادي تينسي ، أنه يوفر للرجال وسائل جديدة واقعية لاستخدام الموارد الطبيعية . كما أنه يبيّن لنا طريقة جديدة لمعالجة المشكلات المرتبطة ببعضها بعضاً الخاصة باستغلال الموارد الطبيعية التي تهم الجميع » .

وبريع فلسطين

تينسي . وقد نجحت تلك السدود في جعل المنطقة مقراً لثاني محطة لإنتاج القوة في الولايات المتحدة . وتنتج ٨٥٠.٠٠٠ مترعة بمزارع الكهرباء ، أي بنسبة مترعة واحدة نضاً بالكهرباء في كل خمس مزارع ، وأصبح سكان الوادي يعيشون عيشة جديدة نسبة لاستماتهم بالكهرباء . فأصبحت المزارع تستخدم المضخات الكهربائية بدلاً من ضخ المياه الفطرية : (كالساقية والشادوف ...) وأصبح السكان يتمتعون بمزارع آلات تجفيف الطعام والثلاجات وتوفرت لهم آلات قطع الخشب وطحن البقول للماشية . وأصبح اللبن يوضع في ثلاجات حديثة . وأنجى أعداد اللحوم وطفى الطعام لا يستغرق وقتاً طويلاً . وأصبحت ربّات المنازل يستطعن استخدام المدفآت الكهربائية وآلات كي الملابس الكهربائية وغيرها من الأدوات التي توفر الوقت والجهد والمال .

ولم تجل آثار إدارة وادي تينسي في أي ميدان من ميادين الحياة كما تجلت في ميدان الزراعة . فقد أمكن للإدارة — بالتحكم في مياه الفيضان والتغلب على تأكل التربة وتوفير مواد القوسفات للتسميد — أن تجعل المزارع في حالة رخاء لم يسبق لسكان الوادي عهدها . وأخذت المحصولات التي تسمى في الولايات المتحدة « محاصيل الزراعة » كالطماق والقطن والذرة مثلاً أخذت تنسج المجال للرسم وقول الصواريهما من المحصولات التي تكسب التربة غنى في المواد العضوية . وأصبح من المألوف حث الأراضي بالآلات التي تحوّلها حثاً منتظماً يعمل على توك تأكل التربة . وأخذ الفلاحون يقومون أفراناً بفلاحة سفوح التلال وإصلاح الأراضي البور . واستطاعت إدارة وادي تينسي بمعاونة الهيئات الأخرى المتصلة بها أن تقنع الفلاحين في الوادي بالإمكانيات من زراعة أنواع شتى من الخضروات لزيادة دخلهم وتمكينهم من شراء مزيد من الملابس وغيرها من ضرورات الحياة . واستطاع الفلاحون في منطقة وادي تينسي أن يستخدموا الكهرباء في إدارة الآلات التي توفر المال والوقت والمال . وشرعوا يتعلمون كيف يستطيعون توليد سلاسل أفضل من الماشية وإنتاج أنواع ممتازة من الفاكهة والخضروات ، وهي جهود تهدف إلى إنتاج مواد متنوعة غنية بالفيتمينات تقوم صحة الفلاحين وعائلاتهم ،

١ - نظرات

في دائرة المعارف الإسلامية^(١)

الترجمة العربية

للأستاذ كوركيس عواد

—*—*—*—

نشر :

حين يريد المؤرخ الأمين النصف عرض أهم الصفات النعولة إلى العربية في عصرنا الحاضر ، واستقاء أنفس ما طبع منها ، يجد في طليعتها « دائرة المعارف الإسلامية »^(٢) التي انطلقت بترجمتها من أصولها الفرنسية لجنة عاملة ، قوامها أربعة أساتذة وهبهم الله مزايا وخلالا خينة كالصبر والشابة وبعد المهمة واستبسال الصب

وإذا ما قيل « دائرة المعارف الإسلامية » ، فذاك يعني مجموعة كبيرة من الباحث ادخرت كنوزاً من العلم بشؤون البلدان العربية والإسلامية وبشؤونها وأديانها ولغاتها ورسومها ومشاهير رجالها وأهم أحداثها التاريخية وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والدينية . وبعبارة أخرى إن هذه الدائرة احتوت على كل ما يحسن الوقوف عليه في هذه الناحية الخطيرة الشأن ، فهي وحدها خزانة شرقية حافلة تشهد لمؤلفيها — وهم أقطاب الاستشراق في هذا العصر — بالاطلاع الواسع على ما يتعلق بالشرق وبالبراعة في الجمع والتأليف والدقة في التتويب والتصنيف

ولا مرء أن الإقدام على ترجمة سفر كبير كهذا يكون محفوفاً بصعاب لا يترك مداه إلا من يعاني أمر الترجمة . وفي تذييل

(١) يرى بعض علماء اللغة في عصرنا ، وفي مقدمتهم اللغويان الأب أنطاس ماري الكرملي وأحمد باشا نيسور ، أن لفظة (سلة) أكثر موافقة لمطلب من « دائرة المعارف » وهذا الوجه يقال « السلة الإسلامية » راجع مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٤) [١٩٢٣] ص ٥٦ - ٥٨ و ١٢٦ - ٢١

(٢) ظهر من هذه الترجمة العربية حتى كتابة هذه السطور ، أربعة مجلدات كاملة وعشرة أعداد من المجلد الخامس ، تسلسلت المواد في مطاوعها من « ١ » إلى « ١١ » وتقليد « والعمل ما زال جارياً

أغلب تلك ، تبليت ما يحملنا على الإقرار بفضل هؤلاء الأساتذة المترجمين والاعانة بما أفرغوه من جهد محمود في إتقان عملهم والسير به إلى الأمام ما وسعهم ذلك

بيد أنه لتراعى أطراف الموضوع وتشعب مناحيه لا مناص من أن يحصل هنا وهناك بعض الهفوات ، أوتقع العين على ألفاظ مصحفة أو عبارات تقتقر إلى إيضاح أو تعقيب . وهذا كله لا يحط من قدر الترجمة ولا يفض من جهد المترجمين في شيء

وقد كنا وما زلنا نترقب صدور أجزاء هذه الدائرة الواحد تلو الآخر فتتلقفها ونطالعها بشوق . وكنا نعتي بوجه خاص بالمباحث العراقية المنشورة فيها ، فنعم على المواطن التي تحتاج إلى تأمل أو إعادة نظر في ترجمتها . ولما اجتمع لدينا من هاتيك الملاحظات ما يؤلف مقالا رأينا أن نستاذن المترجمين الكرام في نشرها اليوم لإظهاراً للحقيقة التي هي رائد كل نفس كبيرة وإفادة لن يملك نسخة من هذه الدائرة بترجمتها العربية

وقد صنفتنا ملاحظتنا هذه فجعلناها على أبواب خمسة وهي :
أعلام الناس ، الأمكنة والبقاع ، الكتب والمراجع ، الأعداد ،
الملاحظات المتفرقة . وسنسير في إيرادها وفقاً لسياقة المجلدات والصحائف ومن الله التوفيق

أولاً : أعلام الناس

ورد في ١ : ٨١ ب ١٥^(١) ممن بن صاعدة . وصوابه ممن ابن زائدة

وفي ١ : ٨٢ البيروني (بالتاء) وصوابه : البيروني (بالتون) . وهذا من أوهام الطبع

وقد تصحفت اسم القس ميخائيل «الغزيري» اللبناني الماروني (١٧١٠ - ١٧٩٤ م) غير مرة إلى « كازيري » (انظر مثلاً ١ : ١٢٠ ٧١ : ١ : ١٥٢ و ١٩ : ١ : ٢٤٥ ب ٧) وذلك لأن اسمه يكتب باللاتينية هكذا Casiri . وللوقوف على ترجمة الغزيري نحيل القاري إلى مراجعة : الآداب العربية في القرن التاسع عشر للأب لويس شيخو اليسوعي (١ : ١٨) ، وما كتبه

(١) نريد بذلك : رقم المجلد ، فالصقعة ، فالخلف ، فالعاور ، من الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية .

وأحرز شهرة بعيدة بين علماء الآثار العراقية، وألف تصانيف مختلفة بالانكليزية (راجع ترجمته في تاريخ الموصل لصانغ (٢: ٢٧٤-٢٧٦). قلنا: هذا الرجل الذي يكتب اسمه بالانكليزية H. Rassam قد تصحف في التاء إلى «رسم» وذلك في المواطن الشار إليها أعلاه.

وفي ٦: ١٣٣٥ لابن حيان. وصوابه: لأبي حيان. وكان هذا من أغلاط الطبع.

وفي ١: ٤١٣ ب ١٤٩: ٣١٤١٥ ديوان أبي نواس طبعة آصف. والذي يرى على غلاف الطبعة المذكورة من الديوان: آصاف.

وقد وقع نظرنا في ١: ٤٧١: ٢٥١ على اسم «مئيلوس». قلنا: عرف اسم هذا العالم الرياضي اليوناني في الراجع العربية القديمة بصورة «مئالاؤس» أو «مئالاوس» راجع: الفهرست لابن التديم (ص ٢٦٧ طبع ليسك أو ص ٣٧٤ طبع القاهرة)، وأخبار الحكماء للقفطي (ص ٣٢١ طبع ليسك) وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ٦٤ طبعة صالحاني)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون للحاج خليفة (١: ٢٩٠ طبعة ليسك) أو ١: ١٣٤ طبعة استانبول الأولى، أو ١: ١٤٣ طبعة استانبول الثانية).

وفي السطر الأخير من ١: ٥٠٤ ب ورد اسم «البرازلي» وصوابه: البرزالي. وغالب الظن أنه من أوهام الطبع. وقد وجدنا طائفة من أسماء المؤلفين الفرنج قد أصابها التشويه من ذلك (١: ٥٣٠ السطر الأخير) ريتير O. Ritter والصواب روتر Neibuhr وكذلك (١: ٥٣١) Neibuhr. سوابه Niebuhr.

ومن الأعلام الشرقية التي لم تسلم من التصحيف ما ذكر في ١: ٥٤٨ باسم «جيريل سيونيتا» وصوابه: جيرائيل الصهيوني، وهو كاهن ماروني من قرية اهدن في لبنان. عاش سنة ١٥٧٧-١٦٤٨ م. وقد ترجمه الأب أغناطيوس طنوس، في الشرق (٣٨ «١٩٤٠» ص ٢٥٣-٣٠٤).

ونظيره في إبعاده عن اسمه الحقيقي «يوحنا الحصري» (نسبة إلى حصرون من قرى لبنان) التوفي سنة ١٦٣٢ م، قد

الأب بولس مسعد في مجلة الشرق (٣٤ (١٩٣١) ص ٦٠١-٦٠٤).

وفي ١: ١٦٣ ب ٢٥ أبرديسان. والصواب: برديسان. وورد في السطرين الأخيرين من ١: ١٦٣ ب ما هذا نصه: «كان أبوه (أبو برديسان) يدعى نهامة وأمه تدعى نهشيران» والصواب: «كان أبوه يدعى نوحاما وأمه تدعى نهشيرام». ونوحاما لفظة إرامية معناها البعث والنشور.

وفي ١: ٢١٧ ب ٩ عطاء مالك الجويني. والصواب: عطاء ملك الجويني، على ما هو مشهور في المظان التاريخية ومن الغريب أن اسم الإمام أبي منصور «الثعالبي» قد صحف إلى «الثعلبي» في غير موطن (انظر مثلاً ١: ٢٢٣ ب ١٩؛ ٣: ٤٧٣؛ ٥: ١٤٧٣؛ ٣: ٤٧٣ ب ١).

وفي ١: ٢٥٥ ب ٢ ذكر «سوش الرسي»، ولكن هذا الاسم ورد بصورة «سوسن الرسي» في معجم البلدان (١: ٧٢٣ طبعة وستفيلد؛ مادة: بلنار).

ومن هذا القبيل تصحيف اسم صدر الدين محمد «الخجندی» إلى «الخوجندی» في ١: ٢٩١ ب ٢٤. والخجندی (بغلاء منجمة مضمومة ثم جيم مفتوحة وسكون النون ودال مهملة) نسبة إلى خجندة، مدينة بما وراء النهر على شاطئ سيحون (راجع معجم البلدان وكتب الانساب).

وفي ١: ٣٠٧: ٢٢١ ذكر «بني كثير». وصوابها «بني كثير» راجع: أخبار التحويرين البصريين للسيرافي (ص ١٥ طبعة كرنكو) ونزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (ص ٧ من طبعة سنة ١٢٩٤ هـ).

وذكر في ١: ١١٣١١ عن أبي بكر بن سعد بن زنكي أتاك فارس أنه من الأسرة «السلفورية». قلنا: الصواب أن نكتب «السلفية» (بحدف الواو) وهم على ما جاء في الكامل لابن الأثير (١٠: ٢٣٨ طبعة تورنبرج، حوادث سنة ٤٩٥ هـ) قبيل من التركان يقال لهم سلفر.

ومن الأعلام الشرقية التي أصابها التصحيف غير مرة (انظر مثلاً ١: ١٩١٣٢٤؛ ١: ٣٢٤؛ ٤: ٣١٥٧؛ ٢٢ و ٢٧) هو هرمزد «وسام» الموصلي، التوفي سنة ١٩١١، الذي نزع إلى انكلترا

والسلوك لمرفة دول الملوك للمقرزي (١ : ٢٤٧ طبعة الدكتور محمد مصطفى زيادة) .

وقد قرأنا في ١ : ١٧٥٣-١٥ ما هذا نصه : « وهناك مصنف يتعرض لأهمية إربل في تاريخ بلاد الشام (كذا) الديني قبل الاسلام ، صنفه كنسي من أسقفية إربل ، ونشره منجانا A, Mingana في Sources Syriagues ج ١ ، ليك ١٩٠٨ ودرسه ساخو Sachau في Abh. der Berl. Akad. D. wissensch ص ٦٩١٥ رقم ٦ انتهى .

قلنا : في هذه الأسطر المتقولة أمور تحتاج الى تعديل أو إيضاح .

فلفظة « بلاد الشام » لأمضى لها هاهنا ، وهي في الأصل الفرنسي La Syrie وهي على ما يبدو لنا مصحفة عن L'Assyrie أي بلاد آشور ، فهو مطابق للمطلب .

أما هذا الرجل « الكنسي » الذي صنف الكتاب المشار إليه ، فقد ذهب ناسره الى انه « متيحاً زخا » التسطوري ، ولكن بعض الباحثين من المستشرقين شكوا في صحة أدلته فلم يوافقوه على رأيه .

وأما « منجانا » فحرف أيضاً . واسمه الصحيح القس (ثم الدكتور) ألفونس « منكنكا » ، وهو امرؤ عراقي ولد في قرية شران من أعمال الموصل في شمال العراق ، وبعد أن أنهى دروسه في الموصل وعاش فيها مدة ، نزح الى أنكاثة قلبت هنالك حتى توفي سنة ١٩٣٧ .

والمصنف التاريخي المشار إليه لم ينشر في ليك كما ورد في الدائرة ، أعما نشر (بنصه الإرمي منقولاً الى الفرنسية) في مطبعة اللومنتكان بالموصل وأمره مشهور . كما ان سخو Sachau لم يدرس هذا الكتاب فحسب ؛ بل نقله أيضاً الى الألمانية بعنوان Chronik von Arbeia . أما الرقم ١٩١٥ المذكور في الفقرة المتقولة أعلاه ، فلا يدل على الصفحة ، إنما يدل على سنة طبع تلك الترجمة الألمانية .

تصحف اسمه في الدائرة (١ : ٥٤٨) الى « جون صرونيثا » . وفي ١ : ٥٧١-١٨ وردت العبارة التالية : « كما انه حكمها (حكم مدينة إربل في العراق) ابان الساسانيين حكم استطاعوا أن يستقلوا بحكمها في فترات متفاوتة ، نذكر منهم قردغ الذي اتخذ حصن ملقى القريب من إربل مقراً لهم » .

قلنا : الصواب في « قردغ » ان يكتب « قرداغ » وهو أحد مشاهير شهداء الشرق في العهد الساساني ، قتل سنة ٣٥٩ م . ولوقوف على ترجمته وأخباره يرجع الى المؤلفات التالية : أعمال الشهداء والقديسين (بالإلمية ٢ : ٤٤٢-٥٠٦ طبعة بيجان في ليك) ؛ وشهداء الشرق لأدي شير (١ : ٣١١-٣٤٥) ؛ وتاريخ كندو واثور لأدي شير أيضاً (٢ : ٨٧-٨٨) ؛ ويزدان دوخت لصائم (ص ١١١-١٢٤ ، ١٩٢-٢٠٢ ، ٣٠٨-٣٠٠) و Duval : La Litterature Syriaque (P. ١٥٨) و Labourt : Le Christianisme dans L'empire . Perse Sous La Dynastie Sassanide 224 - 632 (P. ٤٩) .

وفي ١ : ٥٧١ ب ٧ مظفر الدين قكبرى . وهو تصحيف ظاهر . والمشهور في الكتب التاريخية : مظفر الدين كوكبوري فقد ضبطه ابن خلكان (وفيات الأعيان ١ : ٦٢٤ طبعة بولاق الأولى) بضم الكافين بينهما واو ساكنة ثم باء موخدة مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها راء ، وقال إنه اسم تركي معناه بالعربي قنبر أزرق . ولم ينفرد ابن خلكان بهذا الضبط ، بل تابعه فيه غير واحد من المؤرخين ، راجع في ذلك : تاريخ أبي الفداء (٤ : ٣٩٨ طبعة ريسكي ، أو ٣ : ١٥٣ طبعة الحسينية بالقاهرة) والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن قنبري بردي (٥ : ٣٧٨ و ٦ : ٢٨٢ طبعة دار الكتب المصرية) ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي (٥ : ١٣٨) .

على ان هذا الاسم ورد في بعض المراجع الأخرى بحذف واو الثانية ، فقليل « كوكبرى » . راجع : فهرس الكامل لابن الأثير وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (ص ٤٠٤) والحوادث الجامعة والتجارب النافعة في الساسة السابعة لابن القوطي (ص ٤٤ طبعة الدكتور مصطفى جواد) ، والبدية والنهاية في التاريخ لابن كثير (١٣ : ١٣٦) .

في بيستي ...

أمرت كتب العقاد^(١)

للأستاذ عبده حسن الزيات المحامي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

فإذا سأله صاحبه وهو يحاوره — وأكبر ظنى أن هذا صاحب ليس إلا العقاد نفسه أو شخصية اختلقها من خلقه على غرار ذاته : — « وكيف توفق بين الوجود الأمثل وبين الشرور والآلام في هذه الحياة ؟ » أفلت من هذا المأزق بقوله : « هذا سؤال غير بنير ، لأننا نحن القانون لن نرى إلا جانباً واحداً من الصورة الخالصة في فترة واحدة من الزمان ، ومن يدري أن هذا السواد الذى يصادفنا هنا وهناك هو جزء لازم للصورة كالزوم النقوش الزاهية والمخطوط البيضاء ؟ بنير الألم والخسارة ما الفرق بين الشجاع والجبان وبين السبور والجزوع ؟ » فإذا خلق عليه مجادله بهذا السؤال الحير الخالد : « أليس مجزأ أن نشق وفي الوسع ألا نشق ؟ أليس عيباً أن تقصر عن الكمال وفي الوسع أن تبلغ الكمال ؟ » لاذ المؤلف بإجابة صوفية « كلامية » فقال : « وكيف يكون في الوسع أن يكمل المتصدقون ؟ إنما يكون الكمال للواحد البائم الذى لا يزول » ولكن صاحبه يقيق ذرعاً ويشور ثورة الإنسان في ضعف إنسانيته : « قل ماشئت ، فليس الألم مما يطاق ، وليس الألم من دلائل الرحمة وآيات الخلود الرحيم » . فيطامن المؤلف من ثورته ويسكب عليها شاييب الهدوء : « إن هذا لمسيح إذا كانت حياة الفرد هي نهاية النهايات ، وهي القياس كل القياس لما كان وما يكون . لكن إذا كانت حياة الفرد عززاً من الأعراض في طویل الأزمان والآباد — فاقولك في بكاء الأطفال ؟ إن الأطفال أول من يضحك لبكائهم حين يعبرون الطفولة ، ولأنهم أول من يمزح في أمر ذلك الشقاء ، وليس أسد الرجال أقلهم بكاء في بواكير الأيام ... يا صاحبي هذا كون عظيم ، هذا كل ما نعرف من العظم ، فإذا لم نسد به فالعيب في السعادة التي تنشعها ، ولك أن تجزم بهذا قبل أن تجزم بأن العيب عيب الكون وعيب تدبيره وتصريفه وما يديه وما يخفيه . ولك أن تشكر منه ما لا تعرف ، ولكن ليس لك أن تزعم أنه متكر لأنه مجهول لديك »

(١) ظهر للعقاد بين كتابة هذا المقال ونشره كتاب جديد عن بلال

وعلى هذا النحر الصعب الذى يثير ملكات التفكير والمقد يقطع السامع أكثر رحلته وراء « ريس » معتر بقدرته ، واثق من نفسه ، يأبى إلا أن يقتحم قلل الصخور اقتحاماً ، ولو كانت عنها ندحة من طريق سواء وسط ريع رخاء . على هذا النحو يمرض لفلسفة التسك ، ويعرض للماركسية ودعوتها العلمية ، ويعرض للنازية والفاشية والشيوعية ، ثم يضرب بهم واحد هذه الفلسفة الماركسية وهذا المذهب الشيوعي حين يقول : « فإن كان للنسبوات الماركسية فضل بعد هذا في ثورة الروس ، فذلك هو الفضل المكروس ، لأن المؤمنين بها حاولوا تطبيقها كما آمنوا بها ، فضموا عشرين سنة في هذه التجارب الخفية ، وضاعت معها ملايين الأرواح التي فئت بالسلاح أو فئت بالقنط وقبورها ، ثم آل بهم الأمر إلى إقرار ما أنكروه وحاربوه وقتلوا الملايين من أجله ، وهو اقتناء الملك وإيداع المال في الصارف وتوريث الأبناء وإباحة الفروق في الماش وإعلان العصية الوطنية »

ولا يلبيه هذا عن التنديد بالجنس الذى يملك بمض الرأسماليين ويستغنى إلى التبشير بالتعاون ترياقاً وحيداً ، وهو « التعاون بين الأمم كبارها وصغارها ، والتعاون بين الطبقات غنىها وفقيرها ، والتعاون بين السلطات والتعاون بين الأفراد » . ومن قبل رأينا للمعيد « ديمى » يعتنق مذهب التضامن الاجتماعى ويتخذ أساليباً لكل تشريع ، ولا يرى للفرد إلا حقاً واحداً ، هو أن يمكن من أداء واجبه في تحقيق هذا التضامن

وبمثل هذا الدرس والتقصى يبالغ العقاد مذاهب التسور ، ويتناول الإحساسيين باليوم الزمر ، وهذا إن لم تخنى القاكرة رأى له قديم سبق أن أهداه منذ نحو خمس عشرة عاماً في بعض « ساعاته بين الكتب » أو « مطالعته »

— ٢ —

وثانية الملاحظات التى أحب أن أدونها أنى شمرت وأنا أنرا هذا الكتاب شموراً قوياً بأن العقاد عام من الطراز الأول لهماى المذكرات المتفوقين ، وقوته في الحاجة ، ومصارعة الخصم تظهر على أعماق القضايا الصعبة حين يكون مركزه أضعف المركزين ، أو حين تكون النقطة التى يدافع عنها دقيقة مفتقرة إلى مجهود جبار في التجلية والبيان . إنه لم يحتج إلى عناء كثير لكي ينتصر

بين أناس في الشرق ، وأناس في الغرب ، أو أناس في الشمال ، وأناس في الجنوب .

ثم استمع إليه يبين فضل عطاء الموسيقى إلى جوار عطاء السياسة والاجتماع : « لا تحسبته حتماً ثامناً أن يكون زعماء الاجتماع أو السياسة أعظم من زعماء الفنون ، لأن الممول على الكفاءة اللازمة للعبرة لا على أثرها في مواطن الجاه والسلطان ، وليست حاجة الناس إلى الشيء هي مقياس المظنة فيه لأن الناس يحتاجون إلى سنابل القمح ويستنونون عن اللؤلؤ والزمرد .

ثم تأمل حوار مع صاحبه في دلالة الطبخ على الأخلاق والتمييز بين « الطبخ الذي يستخدم للغذاء والذي يستخدم للذة الطعام » وتأمل تحديده لكنته التصبب الوطني المقبول من الفنان وتمييزه بين التشاؤم الباني والتشاؤم السليبي الهدام .

— ٤ —

وما يأخذ نظر القارئ لهذا الكتاب وفرة الصور للمادية التركيبية التي يستغلها المؤلف للإيضاح والإقناع كقوله : « أليس الذين يتمجلون النعم ، فيخيل إليهم أن ازدحامها خير من تفرقها وأجمع لحاسنها يخطئون كما يخطئ الذين يتمجلون النعم فيجسبون أن مائة لحن في وقت واحد خير من اللحن الفرد وأوفى ؟ شيء واحد في وقت واحد ، وجميع الأشياء في جميع الأوقات ، وهذا هو نظام البيض وقوام الجمال في كل تقع وكل سرور » .

ومن هنا القليل قوله في معرض الفصل بين عبقرية كاتب القصة أو « الرواية » على حد تمييزه المستحسنت وبين مقدار محصوله في الرواية : « إن الحديقة التي تثبت التفاح لا يلزم أن تكون في خصبها ووفرة ثمراتها أوفى من الحديقة التي تثبت الجزير أو الكرات ، ولكن الجزير والكرات لا يفضلان التفاح وإن نباتا في أرض أخصب من الأرض التي تثبت وتركيه » .

ونشير إلى مثل ثالث دون أن نقبسه وهو مثل القطار للندف إلى هاوية يصلها بعد زمن محسوب . وقد مثل بهذه الصورة للنتيجة الحتمية التي زعمها المذهب الماركسي ، ولكن في هذا المثل تمهيد عقادياً لا دعماً وسخرية قاتلة تقابلها مرة أخرى في هذا الحوار الخيالي البديع الذي افترضه الكاتب وقوعه بين خريستوف كولمبوس ، وبين موظف المكتب الشيوعي حين يستأذنه في

على الدعوة الماركسية والمذهب الشيوعي ، ولا احتياج إلى عناء كبير لكي يبرهن على القتل الختامي للطريقة التي اتبعتها الفازية والثاقشية لحل أزمة البطالة بإنشاء طوفان من صناعات الحرب ، ولكنه كان محتاجاً إلى قوة الجدلية « فوق العادية » في مواقف أخرى كوقفه من أسئلة صاحبه المخرجة عما وراء الطبيعة وسر الوجود ، وموقفه في الدفاع عن اليومنة المكيفة التي ظفر لها لأول مرة في التاريخ بحكم البراءة من تهمة النحس اللاصقة بها على الأجيال ، وموقفه إزاء اعتراض صاحبه حين استمع إلى الفاضلة بين جمال الدين ومحمد عبده : قال العقاد إن الأول أعظم أثراً وإن الثاني أعظم نفساً . فسأله صاحبه بجم ، فأجاب « بالآثار » فقال : « محمد عبده الذي تسمي المناصب ولم يحرم نفسه ممتعة الأبوة والزواج أعظم إثارة من جمال الدين ؟ » إن الاعتراض قد أصاب الحز وغان القارئ أن المحامي قد أسقط في يده ، ولكن المحامي القدير مستغف بالجواب : « قلت : قد تكون العزوبة مزيداً من الاعتداد بالشخصية ، وقد تكون الأبوة مزيداً من الآثار »

— ٣ —

وإذا كنت قد أحسنت في بعض المواضع أنى أمام عام قدير فإني قد أحسنت في مواضع أخرى أنى أمام قريحة فقهية متمكنة ، فإن من خير مزايا الفقيه أن يميز بين التشابهات ، فلا تنهم عليه الأمور حين تتشاكل . هذا الإحساس الدقيق بالفروق الناعمة ثم هذه القدرة الجبارة في تجلية الفروق و « تجنب » كل مشتبه على حدة ، هما أسرار يطالماننا في مواضع كثيرة من الكتاب وحسب أن أسوق أمثلة وأشير إلى أخرى : اسمع إليه حين ينحى صاحبه باللائمة على الموسيقى الشرقية لأنها لا تصور المعاني ويندفع إلى حيث يقول : « إنما يسوغ التمييز الموسيقي في معاني المذاهب الفلسفية عند طبائع الغربيين ولا يسوغ عند طبائنا نحن الشرقيين » . فيجيب العقاد : « لا أحب أن أظلم الطبائع الشرقية ولا أؤد أن أفرد الطبائع الغربية دون سواها بتلك الفضيلة ، فإن الموسيقى الغربية لم تكن من قديم الزمان على هذا الطراز الذي نسمعه من بهوفن وأمثاله . ولعلنا نقرب إلى الإنصاف ونندنو من التحقيق حين نقسم الموسيقى إلى منهجين مختلفين باختلاف النوق والبيئة ولا نقسمها إلى إقليمين جغرافيين

المخروج لرحلة الكشف .

— ٥ —

ولكني أتأمل فيما كتبت فلا أجد إلا منحا وتقريظاً .
ولقد عرف قاسم أمين قضاة حكوا ظلماً ليشتبهوا بين الناس بالعدل
فإن ركب شيئا من الحيف فليس طلباً لسمعة العدل وإنما هروباً
من تهمة المحاباة . فلتدقق إذن عين النقد لعلها أن تظفر ببعض
التي :

١ — لقد عرض المؤلف لقدرة الأمم على العمل والقول وقرر
بحق أنه « لا تناقض بين القدرتين » ثم أرسلها قضية عامة جامعة
قَالَ : « إنه لم توجد قط أمة عرفت كيف تعمل إلا عرفت
كذلك كيف تقول » فهل النسبة محفوظة دائماً بين القوتين ؟
ولقد ضرب الأستاذ مثلاً من أمة الإنجليز فقال إنهم في المصور
الحديثة أطبع الأمم على سراس الواقع والعناية بالفكر الفعلي
والخلايق العملية « ومع ذلك « فليس هناك أمة من جيرانهم
ومتافهمين سبقتهم في مضمار الشعر ، وأنجبت نصف من أنجبوه
من عياقة الشعراء .

ولا اعتراض لي على هذا المثل ولكن ما الرأي في أمة
اليابان ؟ أرى عندها من « منتجات القول » ما يتكافأ وما عندها
من منتجات العمل ؟ وإنا وازنا بينها وبين الصين والهند من هذه
الناحية فهل نصل إلى حل يبرز الأمثلة التي أوردها الأستاذ ؟

ب — وأمر آخر : لقد سبق إيراد المناظرة بين الأفغانى
ومحمد عبده ، ولكن المؤلف لم يقم الحجة في كتابه على هذا
الترجيح أى ترجيح الثانى من جهة المنظمة النفسية ، وحين
سبق إلى المؤلف اعتراض صاحبه الوجهية تخلص منه مجرد تخلص
بارع ولكنه لم يهدم قوة الاعتراض . وأنا أعلم أن رحلة
سريسة وأن حيز الكتاب ضيق ، وأن الأستاذ المؤلف يود أن
يخرج كتاباً مطولاً عن محمد عبده ، ولكني أرى بالرغم من
ذلك كله أن واجب الإنصاف لشخص جمال الدين كان يقتضى
المؤلف الإدلاء بحجته ما دام قد عرض للأمر وأدلى فيه بحكم .
ولم يفضل المؤلف محمد عبده من هذه الناحية على الأفغانى
قط ، ولكنه فضله كذلك على سعد زغلول . وإلى لأحس
في دخولي بين سعد والمقاد قسراً لا حسب ؟ والمقاد كتابه الخالد عن

سعد ، ولكني مع ذلك ظلت من الوجهة العلمية جاهلاً بحجتيات
الحكم فقير مسلم به . هل يكتب لهذا الاعتراض أن يكون
استحقاقاً للأستاذ الكبير أن يسرع في إخراج كتابه عن
الأستاذ الإمام فنقرأ فيه بيان هذا التفصيل ؟

ج — وعرض الأستاذ للتفسير السيكولوجي لمؤيدى الشيوعية
فرد تأييدهم إلى الحسد والمقد وفسر بذلك أن « يكون فلان من
الشيوعيين وهو سليل بيت قديم وصاحب مال موفور فإنه يحسد
أمثاله وينقم على الدنيا لأنه لا يحسب فيهم حين يحسب ذوو
الكلمة أو ذوو الرأي أو ذوو النصب والجاه » . وهذه نظرة
صائبة دقيقة ولكنها لا تقرر لنا شيوعية بقض الناجحين الذين
طالوا من المجد والمال وبعد الصوت والنقد ما يحسد عليهم أناس
أجدر منهم ، ثم لا يكون الحاسد شيوعياً ، ويكون المحسودون
شيوعيين . وأغلب الظن أن هؤلاء يتاجرون ليصبحوا أدنى إلى
أفئدة الجماهير ومهوى قلوب وأصوات الجماعات فهي زعة ديماجوجية
يراد بها مزيد من الشهرة وفضل جديد من السلطان .

د — وقد سبق إيراد المثل الخاص بسنايل القمح والثؤلث
ولكن نقاسة الثؤلث ليست نقاسة ذاتية وإنما هي نقاسة نسبية
وعرضية مردها الندرة ، فلو أصبح الثؤلث في كثرة السنايل فما
أظنه يحتفظ بنقاسته الحالية ، ولو أصبحت السنايل في ندرة الثؤلث
لجاز أن تظفر بمثل نقاسته .

هـ — ونرى على القصص والروايات قلة محمولها مع كثرة
أدائها ، ومثل يعض الصور الرائعة التي تضمنها بيت واحد من
الشعر « وأن خسين صفحة من القصة لا تعطينا مثل عموله » .
وليس لي ما لاحظته في هذا الشأن إلا أنه غير منطبق على
نوع خاص من الأنايصيص يضخم مفزاه ويكثر عموله في حين
أن أدائه قصيرة قليلة كخرافات « إيزوب » و « لافونتين » .
و — وهذا الانتقاد الختامى لا أعرف إلى من أتوجه به ،
فإن الأخطاء الطبعية كثيرة وقد أصبحت كالبقعة وسط هذا
الكتاب القيم النفيس ووسط هذا الورق الأبيض ؟ لقد أحصيت
بين مسحتى ٩٠ و ١٣٣ نحواً من اثنتي عشرة غلطة ، وليس
هذا نقصاً كبيراً ولكنه نقص في حق القادرين على التمام .

عبد هس الزيات

الحامى

بضعف الخيال والمجزعن الإبداع والتحليل والتفصيل والاكتفاء بتصور الماني وتركيزها ، فهل يريد المقاد أن يؤدي هذه الأقوال الجائرة ؟ ! والواقع أن الإبداع الفني لا يتمثل في عمل أدبي كما يتمثل في أعب القصة . ولذلك اتخذ أغلب القراء الخالد صورة من صور القصة كاللحمة والتمثيلية . هذا بعض ما يقال في القياس الأول وأما القياس الثاني ، فهو مقياس الطيبة ، يريد المقاد أن يقول : إن القصة تنتشر في طبقة لا يتنازل إليها الشعر ، وإذا فالشعر أرق من القصة . وهنا قول وجه من الظاهر ! ولكنه لا ينطوي على شيء خطير ، فمجرد انتشار فن في طبقة لا يدل على شيء ما لم نبحث أسباب انتشاره . فالوسيقى تنتشر في جميع الطبقات حتى بين الأسفين ، فهل يقال إن النحت مثلاً أرق منها لأنه لا يكاد يتذوقه إلا رواد المتاحف ؟ ! ثم ما هي القصة المنتشرة حقاً ؟ أليست هي قصة الجريمة والمخاطرة والفرام البتذل ؟ وكل أولئك ليس من القصة الفنية في شيء . القصة الفنية — كما يسميها الدارسون لهذا الفن — حكاية تروى كالقصة البتذلة ، إلا أنه يشترط فيها أن تعرض في ثنائيا روايتها قيمة إنسانية أو أكثر كتصوير الشخص وتحويل النفس والشاعرية والفكاهة والماني الفلسفية والآراء الاجتماعية ، بل من القاصين المحدثين من يستعين بالحكاية لتوقيع بالقيم ، فإذا خلت القصة من هذه القيم ، فهي حكاية وليست قصة فنية ، ولا يجوز لمنصف أن يحكم بها على هذا الفن وإلا جاز لنا أن نحكم على الشعر ببعض الأرجال الفنية التي يحفظها الموام .

أجل إن القصة لا تزال أعظم انتشاراً من الشعر ولكن أكان ذلك لبيئة فيها أم لحسنه ؟ إن الخاصة التي تقرأ الشعر الرفيع وتتذوقه تقرأ القصة الرفيعة وتشتمق بها ، وإذا كان المقاد لا يقرأ القصة إلا مضطراً فله والملازم والحكيم وإزنهاور يقرؤها بنفيس اضطراب . ولئن انتشرت القصة في طبقات أخرى فما ذلك لبيئة بها ولكن لحسنتين معروفتين : سهولة المرض والتشويق . فانتشار القصة الجيدة بين قوم لا يهضمون الشعر الجيد مرده إلى أن القصة في ظاهرها حكاية تروى يستطيع أن يستمتع بها القاري المادي لسهولة وتشويقها . وليس بالسهولة من عيب يجرح النوف السليم ، ولا بالتشويق من انحطاط يؤدي القهم الرفيع

الأداة ، وإلا إذا كان يعتبر القصة عملاً أدبياً مطولاً ذا منزى يمكن تلخيصه في بيت واحد من الشعر . وهذا تفسير عجيب إن صح . فالقصة لا ترمى لتزى يمكن تلخيصه في بيت من الشعر ، ولكنها صورة من الحياة ، كل فصل منها يمثل جزءاً من الصورة العامة ، وكل عبارة تبين على رسم جزء من هذا الجزء ، فكل كلمة وكل حركة تشترك في إحداث نعمة عامة لها دلالتها النفسية والإنسانية ، وكل جملة — في القصة الجيدة — تقرأ وتستمد قراءتها ولا يفتنى عنها شيء من شعر أو نثر . ولا تحسن التفاصيل في القصة مجرد ملء فراغ ، ولكنها ميزة الرواية حقاً على فنون القصة الأخرى وفنون الأدب عامة . وهي لم توجد اعتباطاً ولكنها جاءت نتيجة لتطور العصر العلمي العام ، فالعلم هو الذي وجه الانتباه للأجزاء والتفاصيل ، بمد أن ركزته الفلسفة طويلاً في الكليات . اكتشف العلم لكل جزء من أجزاء المادة — حتى للكرة — حياة وأهمية ، وبدت آثار هذه النزعة العلمية في عالم الآداب في عناية الرواية بالتفاصيل ، لم يعد الأدب يكتب بتحضير الأقراص المركزة ، وأدرك أن الثغاة أوفلت لسانية أحوال إنسان وهو يتناول طعامه ، كل أولئك أمور لها دلالتها النفسية وتعبيرها الصادق عن الحياة . ومن عجب حقاً أن المقاد يعلم ذلك كله ، وأنا أذكر أنه كتب مرة — لا أدري متى ولا أين — عن توماس مان ، فأشار إلى تفاصيله الدقيقة في رواياته وبراعتها في الدلالة والتأثير ، فكيف يساوى بيت من الشعر حين صفحة من قصة ؟ بل هل نألى إذا قلنا إن صفحة من قصة تحتاج لشعرات البيوت من الشعر لتحيط بدقائقها وجمالها ؟ ! خذ مثلاً هذا البيت من الشعر الذي استشهد به المقاد « وتلفت عيني ... » ولنفرض أننا نريد أن نستوحيه أقصوى ، فماذا نصنع ؟ أما الشاعر فقد تصور المعنى وليس هو بالبصير المتال وصبه في هذا القالب الجليل . أما القاص فينبغي أن يتصور إلى ذلك ذكراً وأنثى ، ويتخيل لكل منهما نموذجاً بشرياً خاصاً ، وعليه أن يصور زماناً ومكاناً ، وموقف وداع ، تارة عسوس تلتفت فيه الأعين ، وتارة ممنوى تلتفت فيه القلب . فليس هذا المرض هو نفس البيت ولا أكثر ، ولكن العلاقة بينهما كالعلاقة بين الشجرة النامية ذات الزهر والتمر والبذرة الضئيلة . لقد رى بعض التسميين للأجناس الرب

السُّرُورُ كما يراه الغرب

٢ - الموالد المصرية

للأستاذ أحمد أبو زيد

—•••••—

قلنا إن الولد في أصله احتفال ديني بميد أحد الأولياء ... ولا تزال الموالد حتى الآن — على الرغم مما طرأ عليها من التغير وما داخلها من عناصر اللهو — تحتفظ بالكثير من الملامح الدينية التي تتمثل على الخصوص في شدة إقبال الناس على ضريح الولي صاحب الاحتفال للتبرك به والطواف حوله واتخاذ ذلك وسيلة للتزلف والتقرب إلى الله ... ومن الناس من ينتبذ من المسجد جانباً يغلو فيه لنفسه ، يرتل القرآن ، أو يتوجه بالدعاء إلى الله ؛ ومنهم من يشترك في حلقات الذكر التي تقام كل ليلة من ليالي المولد في المسجد ؛ ومنهم من يتخذ الإحسان وسيلته إلى الله . والموالد سوق رائجة للاحتضان بدلى فيها كل عمن يحب للخير بدلوله حسب قدرته وطاقته ؛ فأغنياء الحى والنسب يقع فيه ضريح الولي ينحرون النيايح ويولون الولائم ويوزعون الطعام والملابس والصدقات على الفقراء والموزين — وما أكثرهم في مصر ! .. ومن هم دون ذلك قدرة وثراء من أوساط الناس يسلكون سبلا

غريبة للإحسان ؛ فبعضهم يشتري قربة ماء ليسقى الناس ، أو يشتري (دورقاً) من التمرهندي أو المرقسوس ، أو (الندرمة) يوزعها عليهم ، وهم يتقنون من ذلك رضا الولي ورضا الله .

ومن الطرق القريبة التي يلجأ إليها الناس في مصر للاحتفال بالموالد أن الحلاقين — مثلاً — يتبرعون بإجراء عملية الختان لأطفال الحلى الفقراء بالجان أو بأجر زهيد جداً لا يتجاوز بضعة قروش . ويعلق كل « حلاق » من هؤلاء لوحة كبيرة على واجهة حانوته كتب عليها (الطهارة للفقراء مجاناً) ، وإلى جانبها يعلق صورة تخته وهو يحن أحد الأطفال . ويرى الحلاقون لهذه المناسبة حوائثهم بالمصاييح الكهربائية اللونة والأعلام الزاهية لكي يجذبوا إليهم أنظار الناس . وينهب بعض الحلاقين إلى أبعد من ذلك ، إذ يمدون لأنفسهم حوائث متقلبة يشقون بها من مولد لآخر ، بل ومن بلدة لأخرى ، لكل من يتقدم من الفقراء .

ومن الظواهر الشعبية ذات اللون الدينية الخطابة الدينية في الشوارع . فكثيراً ما يقوم بمض الشايخ من رجال الدين ، أو حتى بعض المتحمسين من عامة الشعب فيخطبون الناس على قاعة الطريق ، يحثونهم على الفضيحة ويأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، وهم في ذلك يصدرون عن قوة إيمانهم وشدة غيرتهم على الدين . ومن هنا كانت خطبهم تأتي في أغلب الأحيان بقوة حارة عتيقة صادرة عن القلب وتجد طريقها إلى قلوب السامعين

الخيال ، وقد وجد المصير بقيته في القصة ، فإذا تأخر الشعر عنها في مجال الانتشار فليس ذلك لأنه أرق من الزمن ولكن لأنه تنقصه بعض العناصر التي تجعله مرثىاً للمصر ، فالقصة على هذا الرأي هي شعر الدنيا الحديثة . وسبب آخر لا يقل عن هذا في خطره هو مرونة القصة واتساعها لجميع الأغراض ، مما يجعلها أداة مألوفة للتعبير عن الحياة الإنسانية في أشمل ممانها . لذلك توجد قصة عاطفية ، وقصة شمرية ، وقصة تحليلية ، وقصة فلسفية ، وقصة علمية ، وقصة سياسية ، وقصة اجتماعية . ولعل الشمول في التعبير يكون مقياساً أصدق من المقياسين اللذين يترجمهما الأستاذ الكبير ، ودلالته واضحة في أن القصة أروع فنون الأدب التي خلقها خيال الإنسان البدع في جميع الصور .

نجيب محفوظ

وهي بعد ذلك تحوى قبا إنسانية كالشعر الرفيع يتذوق كل قارئ منها على قدر استعداده .. وحسب القصة فخراً أنها يسرت المتتبع من عزز الفن للانفهام جيماً ، وأنها جذبت لسماء الجمال قوماً لم يستطع الشعر على قدمه ورسوخ قدمه رفعهم إليها ، فهل يكره المقاد ذلك أو أنه يجب كأجداده كهنة طيبة أن يبقى منه سراً مقلداً إلا على أمثاله من العباقرة ! !

ولعله توجد أسباب أخرى قهر لنا انتشار القصة هذا الانتشار الذي جعل لها السيادة المطلقة على جميع الفنون الجميلة ، ولعل أهم هذه الأسباب ما يعرف بروح العصر . لقد ساد الشعر في عصور الفطرة والأساطير ، أما هذا العصر ، عصر العلم والصناعة والحقائق ، فيحتاج حتماً لفن جديد ، يوفق على قدر الطاقة بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق وحنانه القديم إلى

الدرأوش يرجع إلى أيام الإسلام الأولى ، فإن تنظيمهم ذلك التنظيم الرائع الذي ظلت عليه طول هذه القرون ، يرجع الفضل فيه إلى سيدى عبد القادر الجيلانى (من رجال القرن السادس الهجرى) . ومن هنا كانت الطريقة القادرية هي الطريقة الأصلية ، ومنها تفرعت طريقتان رئيسيتان هما السعدية والرقاعية . وبشتهر رجال الطريقة الأخيرة بوسيلتهم القريبة في التغلب على الآلام وقهرها ، إذ يمشون على النار ويلتهمون الحجر ويأكلون الزجاج ويتلمون الحيوانات السامة وما إلى ذلك دون أن يصيبهم أذى ضرر أو أذى . فهذه الطرق الصوفية وغيرها (وفي مصر حوالى مائة طريقة) هي التي تحتفل في أوقاف الموالد احتفالاً دينياً له مغيبته الجاسة ، وهي التي تضيئ على الموالد ثوباً رائماً مميّزاً . ففي كل ليلة من ليالى المولد تتوجه بعض هذه الطرق إلى المسجد فتعقد حلقات الذكر والإنشاد حتى يتقضى شطر كبير من الليل ، ويستمر ذلك طيلة المدة المرخص بها للاحتفال — وهي أسبوع في المادة — حتى تأتي الليلة الأخيرة — أو ليلة الخاتمة — وهي الليلة التي يفترض أنها ليلة ميلاد الولي ، فتجتمع الطرق الصوفية كلها في إحدى الساحات أو المسادين ثم تنظم على شكل (زفة) يتقدمها رجال البوليس و فرق الموسيقى ، وينتظم فيها (أولاد أبو النيط) وهم يرقصون رقصاتهم الجميلة ، والدرأوش بجلابهم الملونة الزاهية (وطرايرهم) الخضراء ، كما يسير فيها أيضاً بعض الحواة والمشودين ... وتتقدم كل طريقة البيارق (جمع يرق) التي تدل عليها ، وقد نقش عليها أسماء النبي (ص) والخلفاء الراشدين ، أو اسم الطريقة واسم مؤسسها والطرق الصغيرة المتفرعة عنها . وتسير الزفة — وقد توسطها الخليفة — متجهة نحو ضريح الولي في ضجة كبيرة تحتلط فيها أنغام الموسيقى بقرع دفوف الصوفية وأصوات (الكلمات) (النقارات) بنغمات الأرغول و (الزمارة) وغير ذلك من الآلات الموسيقية التي يستخدمها الصوفية والدرأوش . ويتوقف موكب الزفة من آن لآخر في الطريق كي يتسنى للناس في المنازل التفرج والشاهدة ؛ وبعد لأي تصل (الزفة) إلى المسجد ... وهكذا يختم المولد وتنتهي لياليه ، ويصبح الصباح فإذا الزينات ومعالم الأفراس قد زالت وعاد كل شيء إلى ما كان عليه .

غير أن الناس قد يحتمون في احتفالاتهم ومباهجهم أسبوعاً

في غير مشقة ولا عسر . ويخفى ما كهرسون بالذكر شيخاً أعمى يدعى الحاج حسين له مقدرة خطافية فائقة وقدرة عظيمة على اجتذاب الناس إليه . ويذكر ما كهرسون أنه شاهد مرة في مولد السلطان الحنفي يخطب الناس والطر ينصب من فوقهم انصباباً ، والشيخ مع ذلك ماض في خطابه لا يترث ولا يشوق ، والناس منعوتون إليه لا يفكرون في الانقراض من حوله .

ومن هذه الظواهرات أيضاً إقبال الناس على ابتناء الأحجية والطلاسم والرق ابتغاء التبرك ودفع الشر والأذى . والدرأوش هم الذين يقومون بكتابة هذه الأحجية لمن يطلبها من أفراد الناس . ويشهد ما كهرسون بأن الدرأوش يقومون بذلك العمل برغبة منهم في فعل الخير فحسب ؛ فهم لا يتخذون من غفلة الناس وسذاجتهم وسيلة لجمع المال ، إذ أن كثيرين منهم يرفضون أن يأخذوا أجراً على ما يكتبون ، والبعض الآخر لا يتناولون إلا أجراً قليلاً نافعاً ، ومنهم من يفتح بكتابة عدد معين من الأحجية لا يتعداه بأى حال ومهما اشتد عليه الإقبال .

ولكن كل هذه الظواهرات ، على جلال معناها الديني — ليست هي الظاهرة المميزة للموالد ؛ إنما الظاهرة الأساسية التي تمتاز بها الموالد هي سلسلة الحفلات الدينية التي يقوم بها كل ليلة من ليالى المولد جماعة الصوفية والدرأوش . وهذه الحفلات يشرف عليها أحد مشايخ الطرق ؛ ويكون في الغالب من نسل الولي نفسه . وقد يكون أحد تلاميذه الروحيين ؛ فإن صدر ذلك عهدت الحكومة بهذه المهمة إلى أحد كبار العلماء .

ونظام الدرأوش نظام قديم من نظم الصوفية كان موجوداً في أيام أبي بكر صهر الرسول (ص) ؛ فهو بعيد كل البعد عما يلحقه الناس إليه من ضروب الشعوذة وفنون السجل . ونظام الدرأوش نظام متأسس له تعاليم متوارثة ؛ لأن الدرأوش لا يصبح درويشاً حتى يمر بمراحل معينة ؛ فهو يكون في الأصل طالب ثم يرتقى إلى درجة أعلى فيصبح مریداً يتلقى العلم الروحي على يد مرشد يلقبه الأوداد والأذكار حتى يحصلها جيماً فيسلمه (سناً بلسلة) والسنة عند الصوفية بمثابة شهادة تشهد بأن السلسلة (وهي رمز التسلسل الروحي الذي يربط الدرأوش بمؤسس الطريقة) تم بالنبي عليه الصلاة والسلام) وحدة لا تنقطع — ولكن مع أن نظام

الحياة الادبية في الحجاز

نهضة الشعر

للاستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

—♦♦♦♦—

كان الشعر الحجازي قد أصابه الركود كما أصاب غيره في الأقطار الأخرى ، وقنع شعراؤه بتقليد ضفاف الشعراء في عصور الانحلال الأدبي ؛ فوقفت الحساسات البديعية في طريق تجويدهم وإبداعهم ، وأضاعوا وقتهم واستنفدوا مجهودهم في التشطير والتخميس ، وظل الشعر على هذه الحال حتى هزته ثورة التجديد فتخلص من هذه القيود التي كبلته الزمان الطويل ، وقد وصف الأستاذ أحمد البري حال الشعر الحجازي قبل نهضته فقال : « لم يكن الأدب الحجازي سوى بضع منظومات وكتابات سقيمة المعنى واهية السبك ملتوية الأسلوب يدور أكثرها في نطاق ضيق من المدح السخيف والغزل والتشطير والتخميس على غلط ليس له من مبرر سوى ذلك العقم الأدبي الذي منيت به الأفكار في تلك الحقبة الشئمة ، وإلا فأى إنتاج ينتجه أولئك الذين يتناولون بيتين أو أكثر من الشعر بالتشطير والتخميس ، فيممدون إلى تعطيط معناها وتفكيك أوصافها وحشوها بما يناسب وما لا يناسب من الألفاظ المترادفة والتراكيب الموصوفة ... الخ »

آخر زيادة على المدة المصريح بها رسميا ؛ ويذكر ما كفرنسون أنه كان يعجب أشد العجب ويتساءل عن الداعي لذلك ، وهل هو شدة حب الناس وتلقفهم بأوليائهم ، إلى أن جاءه الجواب أخيراً بعد انتهاء مولد السيدة فاطمة النبوية بنت جعفر الصادق ... يقول ما كفرنسون « ولدهشتي البالغة سمعت شيخاً يقف إلى جانب ضريحها (ضريح السيدة فاطمة) وهو يقول : إنا نحتفل بأسبوع الطفل بعد سبعة أيام من مولده ، فلم نحتفل بأسبوع هذه السيدة الجليلة أيضاً ؟ فلم آتاك من أن أغنم وراءه بصوت خفيض : نعم لم لا يكون ذلك » .

(تابع)

أحمد أبو بكر

وما كاد الحجازيون يتذوقون الناهج الحديثة في الشعر حتى حملوا على عشاق القديم حملة عنيفة ليردوم عن التقليد ويوجههم إلى الغاية التي يرجونها للشعر ، وقد جاء في مقال للأستاذ عواد ينتقد فيه التقليد : « ... نعم الشعر جميل ، ولكن أين الشعر الذي تنظمونه أو تروونه ؟ أتتلمسه في تخميس :

- « تتيه علينا منذ رزقت ملاحه »
 أم تشطير : « إذا كان لي أهلاب أهل رحلوا »
 أم في مشجر : « على جيد هذا الطي فليتنظم الدر »
 أم في تخميس آخر مطلعه :
- « أنيرى مكان البدر إن فقد البدر »
 أم في ملححة أنشدت للحسين في يوم عيد مطلعها :
- « سئل ما لسنلى بسوق النخس تشربني »
 أو اه ! كل هذه أيها الشعاعرون صديد فكري وقويو (باللغة التي تفهمونها) لو أنفق البعر بأجمعه في مثلها لما وصل الناظم إلى الشعر . الشعر جميل أما أمثاله هنا فلا ... »
- ويدهى أن ثورة التجديد في الشعر الحجازي لا يمكن أن توجه الشعراء جميعاً إلى وجهة واحدة ؛ إذ لا بد له من زمن طويل يشبط فيه المجددون ويسرفون في التجديد ، ويشعر القداى بتأخرهم فيقتربون منهم شيئاً فشيئاً ، ويمود السرفون فيهدئون من ثورتهم ليلتقوا بإخوانهم القداى الذين تحلفوا عنهم وحينئذ يجتمع في الشعر محاسن الطريقتين ، ويستقر في طريق له معرفة مرسومة لا تكون عرضة لزعازع التغير والتبدل الفجائيين .
- حدث هذا الصراع في الحجاز منذ أن قام الشعراء بهضمتهم الحديثة ؛ فقد حل المجددون على الجود والحوول وتناولوا عشاق القديم بالنقد اللاذع فأثر فيهم هذا النقد ، ولم يعد الآن في الحجاز من يطرب للتشطير والتخميس أو يهز لألوان البديع ، وأجهروا جميعاً إلى أغراض الحياة يسطونها في أشعارهم ويجلون فيها بيانهم وإن كانت ظاهرة الاختلاف لا تزال قائمة ؛ فشعراء الحجاز الآن طائفتان : طائفة مجددة وليكنها مثثلة متمهلة تعنى بالديناجة القوية وتبقى على كثير من الأغراض القديمة . وطائفة متوثبة مسرعة في التجديد قد استطاعت أن تقطع صلها بالقديم إلا في الألفاظ والتراكيب .

(بوجر) وفي وادي (العقيق) ودونه
وفي (لية) أو بين (قون) النجائب
وفي (الوهط) الخضر أو في (وهيطه) .
وفوق (الشفا) أو في أديم السحاب
ويقول :

ولا أنس (بالثبات) ليلا أنسا

وين (الهدى) أو في جوار (الكباكب)
وهكذا يسير الشاعر في قصيدته معددا الأماكن التي أنفها
وأقام بها . ولكن هذا التقليد للأقدمين لا يعدو الطريقة ؛ فإن
الشاعر متأثر بهذه الأماكن وله فيها ذكريات ، ولا يعاب عليه
أن يذكرها في شعره ؛ لأنه ذكر العالم بها المتأثر بما فيها .

أما المدرسة المرفقة في التجديد فقد تسلفت بالثقافة المنقولة
عن الغرب ومالت إلى أدب أدباء المهجر من أمثال جبران والريحاني
وأبي ماضي وفرحات وغيرهم ؛ وذلك لأن شعراء هذه المدرسة لحوا
في أدب المهجر ثورة على القديم وجراءة في التجديد وصراحة في
الحق ، فمكفوا على هذا الأدب لأنهم وجدوا فيه غذاء جركتهم
الناشطة ومشغلا يضيء لهم جوانب الحياة التي يروجونها وهي
التجديد السريع .

وبعد شعراء هذه المدرسة جبران ينس على التقليد ومحط من
شأنه حين يقول : « .. ليكن لكم من مقاصدكم الخصوصية
مانع عن اقتفاء أثر المتقدمين ؛ فغير لكم واللغة العربية أن تبثوا
كوباً حقيقاً من ذاتكم الوضيعة من أن تقيموا صرحاً شاهقاً
من ذاتكم المقتبسة . ليكن لكم من عزة نفوسكم زاجر عن نظم
قصائد المديح والثناء والتهنئة ، فغير لكم واللغة العربية أن تموتوا
مهملين محقرين من أن تحرقوا قلوبكم بخوراً أمام الأصنام
والأنصاب . ليكن لكم من حماسة القومية دافع إلى تصوير
الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الألم وبجائبات الفرح ؛ فغير لكم
ولغة العربية أن تتناولوا أبسط ما يشغل لكم من الحوادث في
محيطكم وتلبسوها حلة من خيالكم من أن تعربوا أجل وأجل
ما كتبه النرييون » .

ولعل الحجازيين عند ما انتسح أمامهم طريق الرق الأدبي
وجدوا أنفسهم متأخرين ؛ وجدوا مصر والشام ثم العراق قد
قطعت في ميدان التقدم شوطاً بعيداً لدى فها لم الأسر وأرادوا
الالحاق بهم ؛ فلم يكن هناك بد من أن يسرعوا الخطا ويتنذوا
السير في حركة الواثب المتحفز التي لا يبتقى ولا ينذر . فهاذا
وجدوا أمامهم ؟

رأوا دواوين الشعر القديم قد ملأت الأسواق ورأوا أدباء
مصر والشام قد أنتجوا المعجب في الأدب ، ورأوا غير هاتين
الناحيتين أدبا آخر هو الأدب العربي في أمريكا ، وهو أحدث
هذه الآداب وأقربها إلى الأدب الأجنبي .

وجدوا كل هذا فإل الكثيرون إلى الآداب الحديثة وبخاصة
أدب المهجر وتمشقوها وجاهدوا في تقليدها كأنهم رأوا فيها
الخلاص من الجرد والتأخر ؛ فاستطاعوا في زمن وجيز أن يواعدوا
بين متناهم ومنهاج من سبقهم ؛ حتى ليخيل إليك عدم الارتباط
والصلة بين الأديين .

وأما الآخرون - وهم أقلية - فقد آثروا الاعتدال والتمهل
والتفتوا إلى الأدب القوي القديم يقرءونه ويحاكونه في بلاغته
ورصائته ، ومالوا إلى الأديين المصري والشامي يهجون منهجها
ويلاعنون بينهما وبين حياتهم ، ولم يتركوا من أدب المهجر
ماراقهم من موضوعاته ومعانيه . وإنك لتلمس في الأبيات الآتية
وهي « للتراوي » تأثراً بالأدب العربي القديم في أساليبه ومعانيه
وتجديداً في قليل من الأخيلة والماني :

حائم الأيك إن أبكاك ذوشجن - أصفيتها الحب إسراراً وإعلاناً
وبت فيه على ذكرى وموجدة - تترين دمعك أسجاعاً والحانا
وظل دابك في الأسحار أغنية - يحالها السمع بالتوقيع عيادنا
فا بنفسى مما تشكى حرق - ولا تمسقت آراماً وغزلانا
لكن سكبت دمي دمعاً على وطني - قد كان في المجد والتاريخ ما كانا
على أن تأر هذه الطائفة بالشعر القديم يندون في طريقة الشعر نفسه
فالتراوي في قصيدة له عنوانها « منازة الطائف » يعلوها بذكر
الأسكنة على طريقة الأقدمين في ذكر الديار والأطلال فهو يقول فيها:
وتنهفو بنا النسمات حين هبوبها

إلى فرض اللغات تحت الكواكب

إلى شقيق إبراهيم

أهكذا تمضي ... ؟

لهزنة قروي عبد الفتاح طرفان

تساءل الليل عن صنوه

في الروض ، فاستبكي عيون الزهور
وغصّ عما حاج من شجوه بزفرة بين التراقي تمور
من صرف الشاعر عن شدة وله بالصمت صمت القبور
وما الذي كدر من صفوه حتى جفا الوكر وطاف الطيور

ألم يكن والروض خصب مريع منها بالعيشة الراضية
بين سني يطفو وعطر يشيع وبهجة ظمرة ضباقيه
يصبي الفراشات بشدو بديع تظل من أنثامه الشاحيه
ترف كالزهر حياه الريح أجنته موشية حاله

وطاف بالروض حزينا لحيف يبحث عن شاعره في الشجر
لمسه في ظل دوح وريف يرتشف الطل ويرعى الزهر
يلف عطفه وشاح شفيف تنسجه في الليل أيدي القمر
ويبعث اللحن رفيفا رهيف محب الوقع ، ممرن الوتر

وحين لم يلق أخاه الحبيب ولم تنع الأذن أغريده
حبط على غصن أراك رطيب ومد من عليائه جيده
وأرسل الشدو حينئذ مذب يهز في الأيك أماليده
وودّع الروض بقلب كئيب إذ لم يجد في الروض غريده

أهكذا تمضي مضى الحلم طافت سراعاً وتلاشت رؤاه ؟
أهكذا تطويك أيدي المدم في عمر الزهر وجف الحياه
ألم تكن نجما سما واضطرم يشع في الأفق فيهدى سناه ؟
ألم تكن شعراً على كل فم منسجم اللحن ، حبيباً صдах

أى لحون رعن سمع الزمن بثتها من خفقات الفؤاد
أودعتها الروح تتاجى الوطن فيها قهتر الربى والوهاد
ثم تراميت صريع الوهن مخضب الجرح ، سليب الضماد

قرد وحمار

لهزناؤ محمد عزت عرفة

—>>><<<—

كنت أشهد في بعض قرى الصعيد فتى رهياً يقتاد حماراً
أسود قتيلاً قد علمه بعض الأضاحيك ولقبه « ظريقاً » . وكان
يؤى إليه فيلتبط بالأرض في سكون ، ثم يبدأ يمرض عليه
العروض فيقول : تزوج من جرجا ؟ تزوج من البليتا ؟ تزوج
من سوهاج ؟ تزوج من النخيلة ؟ تزوج من أبو تيج ؟ تزوج
من أسيوط ؟ ... كل هذا والحمار يرفض في إباء ، ويؤكد رفضه
بهزات من رأسه حاسمة . فإذا عرض عليه الأمنية النفيسة وقال :
تزوج من مصر ؟ — وثب من رقدته مرعاً خفيفاً وهو يهز
رأسه علواً وسفلاً علامة القبول !

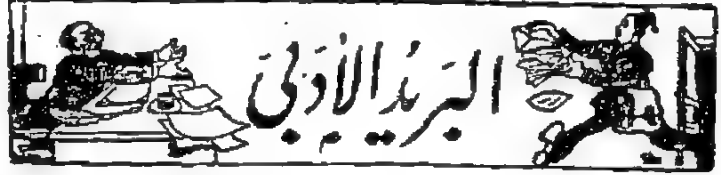
كنت أعجب بحركات هذا الحمار ، لكن لا أعجب بفكرته
— وهو صعيدى — من إثارته بثبات مصر على بنات موطنه
الصعيد ... ثم أقول : لا جرم إنه حمار ...

وأخيراً تحقق لى صدق حكى ظلى عقلية هذا الحمار ، إذ
قرأت عن قرد حاذق قص حديثه القاضي التتوخي في كتابه
« نشوار المحاضرة » رواية عن ابن عباس الذي حكى أنه « رأى
في شارع أُلُفْلِد قرداً معلماً يجتمع الناس عليه فيقول له القرد :
تشتهى أن تكون بزازاً ؟ فيقول : نعم ، ويؤى برأسه ، فيقول :
تشتهى أن تكون عطاراً ؟ فيقول : نعم — برأسه — فيعدد
الصنائع عليه فيؤى برأسه ، فيقول له في آخرها : تشتهى أن
تكون وزيراً ؟ فيؤى برأسه « لا » ، ويصيح ويمدون يدي
القرد فيضحك الناس

كلا الرجلين يمزح في فعله ، ويحاول أن يتفكك ويفكك ممة

وامتنع الشدو كأن لم يكن وجذوة القلب استبحات رماد

إذا سجا الليل فقرت عيون وأسعد السارى نجم بدا
تلقت القلب وفيه شجون مسائلا عنك ، ولكن سدى
لأذنين الدمع شعراً حزين مرجع الأنات ، شامى الصدى
من نور عيني ، وخفق التوبن حتى توافيني عوادى الردى !



ما بدا لي في تاريخ الزوميات وترتيبها ، فن بدا له ما يؤيد رأيي أو ينقضه ، فليقتضل مشكوراً بالإدلاء برأيه والإبانة عن حجته » ومعنى ذلك أنه أول من فعل ذلك

ونأى الأمرين : أنني وجدت شيئاً عظيماً ، بل تطابقاً بين الأسس التي اتخذها الدكتور عبد الوهاب عزام لترتيب الزوميات وبين الأسس التي كنت قد استخراجتها ثم جعلتها أساساً لكتابي « حكم المرة » التي صدرت في بيروت في شباط (فبراير) من عام ١٩٤٤

في هذا الكتاب منيت بوضع أسس لترتيب الزوميات ، إذ أنني كنت أحاول حل قضية مققدة ، هي ما ينسب بعض التأديين ، من التناقض إلى حكم المرة . وبعد تدبر هذه القضية بدا لي أن ذلك راجع إلى أن ترتيب الزوميات على حروف الروي ليس الترتيب التاريخي لها مما بسطته في موضعه

واستطعت بعد الدراسة والمقارنة أن أضع أسس ترتيب الزوميات على خمس قرائن (حكم المرة ص ٢٤ - ٢٤) :
أولاً : إشارة الممرى نفسه إشارة عامة إلى نظم الزوميات وترتيبها (ص ٢٤ - ٢٥ من حكم المرة)

ثانياً : الإشارات التاريخية وأشهرها قصة صالح بن مرداس (٢٦ - ٢٨)

ثالثاً : إشارة الممرى إلى سني عمره في أثناء نظم الزوميات (ص ٢٨ - ٢٩)

القصة وعربي القرن الرابع .. هو فرق ما بين دولة فضت يدها من المجد أو كادت ، ودولة كانت تأخذ من المجد بأوثق أسبابه . فليذهب القراء والحار جيماً إلى الجحيم ، فما كان لهذه المقارنة العابرة بينهما أن تربيني في مستقبل الإسلام والعرب ، ولكنني مع ذلك رجل مؤمل ومشفق مما ، أخاف مثلاً أوجو ، وأتشاءم لقاء ما أتفادل . وأحب أن نكون - حتى في مزاحنا - جادين فلا تشغلنا القشور عن شرف اللباب ، أو يصرفنا الغلاف عن تصفح الكتاب ...

ومن يدرى بعد ، قلعل قرويتنا معنور في قعله ؟ بل لعله حكيم ثاقب الفكرة ، أليس يقدم لنا مزحة الجوقاء ، وما تنطوى عليه من فكرة حمقاء ، على يدي حار أسود في . ١ ؟

حول الترتيب التاريخي للزوميات الممرى

قلنا في عدد مضى من الرسالة إن الدكتور عمر فروخ أرسل إلينا كتاباً مطولاً حول هذا الموضوع يتهم فيه الدكتور عبد الوهاب عزام بكبت وكبت ، ثم لحسناء وعلقنا عليه بما رأينا . أنه الحق . وفي يقيني أن الدكتور فروخاً لو عرف الدكتور عزاماً أكثر مما عرف لاستبعد عليه أن يسرق بحثاً من بيروت ليقرأه في مهرجان الممرى بدمشق . ولكن الدكتور لم ير ضنه تلخيصنا لكتابه ولا تعليقنا عليه ، فبعت إلينا بكتاب آخر يرمينا في مقدمته بالنصب للدكتور عزام والتستر على (جريمته) والخوف من (نفوذه) ، ويوعد بأنه سيطلب حقه من الدكتور عزام ومنى بما طلب به التفتي حقه في بيته المعروف ، فرأينا تكديماً لظنه وتبديداً لوجهه أن نشر كتابه بنصه . قال عطاء الله بعد (الديباجة) :
« طالعت المقالات التي كتبها الدكتور عبد الوهاب عزام عن زوميات الممرى وعن ترتيبها التاريخي في الأجزاء ٦٢٤ - ٦٢٥ من الرسالة الثراء ، ولقد لفت نظري أمران :
أولهما : أن الدكتور عزام قال في آخر المقال الثالث : « هذا

الناس - استدراوا لمطايام - بأخذ أمثال هذه الألعاب . ولكن للفكاهة المستحبة مظهر من المجد ، وممرى فامض من العبرة والموعظة بدونهما تكون عبثاً لا طائل تحته ونظرية هذا القرد صائبة - أعني نظرية صاحبه - إذا نحن تأملنا منصب الوزير على عهدنا ، وما كان يهدد الوزراء يوم ذاك من خلع وقتل وجلس واستصفاء ، فأوجه نظرية حارنا - أو حمارنا - في الزواج ؟ !

الحق أن هذا الفتى الرقيق وحماره يعبثان بقدر ما كان الشاطر البينادي وقردة يبدان ؟ وفرق ما بين الأولين والأخبرين هو فرق ما بين المسلمين اليوم وأسلانهم في القرون الخوالي ... هو فرق ما بيني أنا - عربي القرن الرابع عشر - والتتويحي ناقل

رابعاً : الإشارة إلى تقدم سنه من غير أن يذكر السنوات صراحة كأن يتكلم على شبابه وشيئه وملاؤه من الحياة وجهه لفارقة الدنيا ... الخ (٢٩ - ٣٠)
خامساً : تطور أسلوبه في نظم اللزوميات من حيث النضج والقوة (ص ٣٠ - ٣١)

وجاء الدكتور عبد الوهاب عزام فسلخ القرائن الأربع وذكرها على التوالي التي اخترتها ، إنما بعد أن حذف القرينة الخامسة ، لأن البحث في الأساليب أسبق من البحث في غيرها . ويذهبك فوق ذلك كله أنني اعتبرت القرينة الأولى (أعني إشارة المرى نفسه إلى نظم اللزوميات وترتيبها) مقدمة لا غير ، لأنه لا يجوز أن أنسب إلى نفسي استخراج أساس أشار صاحبه إليه إشارة واضحة . ولقد فعل الدكتور عزام ذلك مثلي تماماً ، ثم بنا بالإشارات التاريخية الخ على الترتيب نفسه لم يغير منه شيئاً

على أن هذا لا يمكن أن يكون توارد خواطر ، لأن الخواطر قد تتوارد في بيت من الشعر أو في رأى أدبي عارض ، أما في بحث على طويل ذي فصول وفروع وتقسيم واستنتاج وشواهد وأمثلة فأمر مستحيل وخصوصاً إذا اتبع التأخر المتقدم

ولقد كان توارد الخواطر ممكناً في زمن تقطع بين أرجائه الصحارى والدى البعيد ، أما اليوم في عصر السيارات والطائرات والبريد السريع ، فأى عذر ينهض بالتأخر إذ ادعى أن خاطره وخواطر المتقدم قد تواردا ؟

بقى على الدكتور عزام أن يدعى أنه لم يطلع على كتابي ، وهذا مردود من وجهين :

أول ذينك الوجهين أن كتابي صدر قبل عام ونصف عام من صدور بحثه ، وأن الناشر في بيروت قد أرسل نسخ كتابي إلى العالم العربي ، وأرسلت أنا إلى ناشر في لندن عدداً كبيراً . ولقد تقدمت كتابي المجلات ، وبعضها أشار إلى هذا الترتيب التاريخي . وثاني الوجهين أن العالم الحقيقي لا يهجم على عمل مثل هذا إلا بعد أن يتقصى المكاتب ويفتلي الكتب والمجلات ، وخصوصاً إذا خطر له موضوع ذو خطر

وهناك أدلة أخرى على أن الدكتور عبد الوهاب عزام أخذ

البحث عنى ولم يبدئه بنفسه ، منها أن نجاجه التي يدعى أنه استخراجها من اللزوميات لا تستد نظريته المدعاة ، فليس كل بيت فيه ذكر للسن راجعاً إلى سن المرى . وكذلك ذكر الدكتور عزام في الإشارات التاريخية أسماء « محمود ومسعود » ، وقد ذكرت أنا ذلك ولكن في باب آخر (راجع ص ٩٤ من حكيم المرة) للدلالة على أن عمر الخيام كان شديد التأثير بلزوميات المرى ، فيما ذكرت من أدلة ذلك

عمر فروخ

وقد اطلع الدكتور عزام على ما نشرته مجلة (الأدب) وكتبته مجلة (الرسالة) ، فأرسل إلينا الكتاب الآتي :

الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

السلام عليكم . وبعد ، قد اطلعت في العدد الأخير من مجلة الأدب التي تصدر في بيروت على كلمة عنوانها « إلى الدكتور عبد الوهاب عزام » وتوقيعها « قارى » . وخلصتها أن هذا القارى أدرك تشابهاً بين مقالتي التي نشرتها في « الرسالة » عن لزوميات المرى وبين بحث في كتاب للدكتور عمر فروخ اسمه « حكيم المرة » . وظن القارى ، وبعض الظن إنم ، أنني أخذت « الفكرة والترتيب والأدلة والمناذج » من هذا الكتاب وقد أرسلت إلى مجلة الأدب مبيناً أنني لم أطلع قط على بحث في هذا الموضوع للدكتور عمر فروخ ولا لغيره قبل كتابة مقالتي ولا بعدما . ولم أستطع أن أتكلم في هذا التشابه بين البحثين حتى أطلع على الكتاب

ثم اطلعت اليوم في الأسبوعية على العدد ٦٣٦ من الرسالة - وقد فانتى قراءته حين صدوره - على كلتيك التي نقلت فيها نبأاً من رسالة الدكتور عمر فروخ إليكم ، وأبدىتم رأيكم في الموضوع

وقد أخذت من هذه الكلمة أن بحث الدكتور عمر الذي وقع التشابه بينه وبين بحثي يرجع إلى ترتيب اللزوميات فحسب . ومن قرأ بحثي في « الرسالة » يعلم أن موضوعه : متى نظمت اللزوميات وكيف رتبته ؟ فهو قسمان : الأول : تحديد الوقت الذي نظم فيه المرى لزومياته ؛ والثاني : بيان أن ترتيب اللزوميات على الروى يوافق الترتيب الزماني أولاً . والبحث الأول هو الذي

للآيات التي وردت في كتاب « في بيتي » للأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، وقد أشار فيه الكاتب إلى أن صدرى البيتين الثاني والثالث خلجان عن البحر ، وأنهما لا يصحان على وجه من الوجوه . قال : ثم بحث الأمر لأننا كده فظهر لي ما أدركته أولاً ، كنا !

ولما كان الروي هو التاء المكسورة ، وكان الوقف لا يصح عليها ، لأن (القصر) لا يدخل البحر المجتث ، ظهر لي أن في البيت الثالث إقواء ، فكلمة « أباد » في البيت لا يصح جرهما بحال وأحب أن أعني الأستاذ العقاد من الرد على هذا النقد ، فقد كان في استطاعة الكاتب أن يرجع إلى هذه الآيات في ديوان « وحى الأربعين » ، ليرى أن الشاعر قد وضع علامة السكون على القافية ... وكان في حل من وضع هذه الإشارة ، لأن القوافي ليست من حركة واحدة . . . ومحسن بي أن أطلع القارىء على هذه الآيات كاملة كما قرأتها في « وحى الأربعين » ليصدر حكمه عليها :

النور سر الحياة	النور سر النجاة
النور وحى النهى	النور وحى الصلاة
النور شوق الفتى	النور شوق الفتاة
الحمة بالروح لا	لح السيون الخواة
ما تبصر العين من	معناه إلا أداة
هذا سيل الهدى	لا ما افتراه الهداة

ويتبين من هذه الآيات أن وزنها :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

بسكون التاء في القافية ، وإذا كانت الموسيقى هي رائد الشاعر في كل ما ينظم ، فن واجب الناقد أن يحلها محل الأول حين يمرض لهذه الناحية من الكلام . فقد يمن للشاعر أن ينظم على وزن جديد ، أو أن يأتي بنظام لم يسبق إليه ، وهو بعد صحيح سليم تتقبله الأذن وتستطيعه النفس

فن الحجز على الشعر والشعراء أن نقول لهم : قفوا عند حدكم ، فإن الأقدمين قد وقفوا عند هذا الحد . هذا لغو وجود لا أحب أن ينبت به الشعراء في القرن العشرين

والطلع على آيات الأستاذ العقاد يجدها سليمة من ناحية الوزن قوية من ناحية الموسيقى فضلاً عما بها من المعاني السامية ، ولا يطالب الشاعر بأكثر من ذلك محمد طاهر الجبوري

كلفتني قراءة اللزوميات كلها واستخراج الحوادث التي ذكرت فيها ، والرجال الذين ذكروهم الشاعر وتاريخ هذه الحوادث وهؤلاء الرجال واستقصاء الآيات التي ذكر فيها المرئ سنة ، والتي ذكر فيها سواد شعره ومشيه ... الخ ، وقد انتهيت إلى أن الكتاب نظم بين سنتي ٢٠٠ و ٢٢٠ من الهجرة

وأما البحث الثاني المتضمن أن ترتيب اللزوميات غير مسير للتاريخ ، فالأمر فيه أم ، والفصل فيه يسير بعد الفراغ من البحث الأول

فهل يدعى الدكتور عمر التشايه بين كلامي وكلامه في البحث الأول أو في البحث الثاني ؟ الذي يؤخذ من الكلمة التي نشرتها الرسالة أنه يجادل فيما يتصل بالترتيب التاريخي وحده ، وكل من قرأ بحى يعلم يقيناً أن كلامي في هذا لا يمكن أن يؤخذ إلا من بحى في القسم الأول ، فهو نتيجة عتومة لي ، وهو ليس بذى بال بعد البحث الأول ، ولا يقتضى الباحث عناء ولا تمعناً ، فليس معقولاً أن أنقله عن غيري بعد أن فرغت من البحث الأعمق الأشق الذي ينت فيه متى نظمت اللزوميات

ومهما يكن ، فإن أعيد ما أرسلته إلى مجلة الأدب ، أن إلى هذه الساعة التي أكتب فيها هذه الكلمة لم أطلع على بحث لأحد في هذا الموضوع ، ولا رأيت كتاب الدكتور فروخ

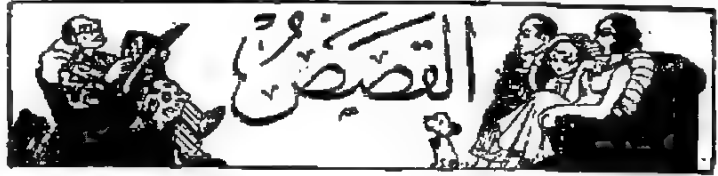
ولو كان الفصل في ترتيب اللزوميات وتبيين أنها ليست سرسة على التاريخ بعد فتحاً في الأدب ما أجزت لنفسى أن أتدخل فيه كلام غيري ، وأن أسوم نفسى ما لم تنوّه من الاتكال على أبحاث الناس ، بله الثقل أو السرعة

إن هذا البحث وما هو أعظم منه وأشق وأجدى ، ليس عظيماً من رجل مثلي يقرأ اللزوميات كلها قراءة عام ناقد

وكان خيراً للدكتور عمر ولمن كتب في مجلة الأدب أن يرسل إلى الكتاب ويسألني رأيي ، فإن المساعة إلى اتهام مثلي بنقل كلام الناس لا يليق بالأدباء ، ولا يلائم تثبت العلماء وأرجو أن تنشروا هذه الكلمة مشكورين . والسلام
(الألكسندرية ٧ رمضان) عبد الوهاب عزازم

مراجعة وتصحيح :

اطلعت في البريد الأدبي بالرسالة تحت هذا العنوان على نقد



تَوَان

أو

عند ما تسيطر المرأة

[إلى الحزب الثاني مع تواني]

للكاتب الفرنسي جى دى موبسان

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

—»»»»—

جرى على لسان كل من كان يعيش على مبيعة سبعة فرائخ من حانة « التورنفان » اسم صاحب الحانة « انتوان ماشيل » ... وقد تعددت الأسماء التي يدعوها بها رفاقه وخلانه ، فتارة يطلقون عليه « باتوان » وطوراً « قَيْفُ ستار توان » وحيناً ينادونه « جود أولد بنسن » ...

وكان لتوان الفضل في الشهرة التي نالها حانة « تورنفان » ... فقد ذاع صيتها مع أنها لا تزال مزودة فقيرة تقع في كنف متطرف من الوادي الذي يشرف على البحر ؟ وقد أحيط ببعض الجواسق التي يتخذها نفر من أهالي « نورمنديا » مقطناً لهم ... ففرسوا ثمت الأشجار السامقة ، وأقاموا السدود ، وقد جمعت تلك القرية على جدول تحالط ماء الرقراق خضرة النبات الذي ترعبرع على شفا الجدول ... وهو ينحدر من الأكمة والتلال التي أوجت باسم « التورنفان » .

ونحيل إلى الإنسان الذي ينظر إلى تلك الجواسق في كنف الوادي ، أنها بعض الطيور وقد أوت إلى ثلم ، عند ما تعصف الرياح والأعاصير البارقة التي تكسح ما على شاطئ « نورمنديا » من الدور الصغيرة . وقد زادت عنها السدود والأشجار ، وهذه المواقف تأتي على كل شيء فتجمله فأعاً صفتاً ... أما المزرعة الفقيرة فكان يمتلكها « انتوان ماشيل » وأحياناً « جود أولد بنسن » وأحياناً أخرى « قَيْفُ ستار توان » أما اللقب الأخير

فلمله صدى لتلك العبارة التي كان يفوه بها نادراً « إن خر « قَيْفُ ستار » لهو أجود ما يجوده المرء في فرنسا ... » لقد ظل قرابة العشرين عاماً ينقع غلة القرويين بسلافة العذب المعتق ... وما من قادم يسأله : « ما الذي تستحسنه اليوم ، يا توان ؟ » فيجيب في غير تعلم أو تردد « قدح من راووق المعتق يا بني ... ييمث الدفا في جوفك ، وألكينة إلى نفسك ، وهو خير ما يرجى لصحتك » وينادي توان كل إنسان « يا بني » مع أنه لم يرزق ولداً لا في الحلال ولا في الحرام عرف توان بأخلاقه الطيبة ، وخلاله القضي ... ولو أنه كان حادراً زهماً ، حتى أنه كان أكثر الرقيقين شحماً ، هذا إن لم يكن قد فاق أهل نورمنديا قاطبة .

وكان كوخه — على النقيض من ذلك — صغيراً ضيقاً .. فن يرد وهو قائم على باب داره حيث يقضي طيلة يومه ... يتوله العجب عند ما يفكر كيف يتخطى ذلك الباب الضيق المنخفض إلى صحن الدار ... يقف توان على قارعة الطريق يدعو كل من يتوسم فيه الأناقة والثراء إلى حانته حيث يقدم إليه بعض الخمر على سبيل التجربة والقياس . وقد علق على واجهة حانوته لوحة سطر عليها « حانة الصداقة » . وكان هشاً بشاً لكل من جاورد وأمه ...

وقد بقد عليه خلق كثير من إقليم « فيكاسب » و « مونت فليير » وغايتهم أن يروا توان ، ويتندروا بفكاهاته المستلحة ومزاحه العذب الذي يضحك المجر الصلد ... لقد أوتى القدرة على أن يشيع المرح حوله دون أن يسجر من يجالسه ؟ والقدرة على أن يخطب ساقه في حركة تنزع الضحك من فيك — شئت أو لم تشأ — ، والقدرة على أن يحمل حاجبيه يهبران بما لا يستطيعه لسانه ... إن منظره وهو ينهل الراح لييمث وحده الضحك والسرور إلى الميول الساحمة الخريئة ...

وقد يجرع توان كل ما يقدم إليه من أنواع الشراب كلها ، فيلمع في عينيه بريق الخبث ... وتتألق مقلته بالابتهاج الذي يجملك تقدم إليه المزيد من الشراب . وطالما كان يسأله مواطنوه : « لم لا تعلق من ماء البحر ما يشبع شراحتك هذه ؟ » فلا يسمعه إلا أن يجيب في هُناف : « ثمت سيبان . فأولا : ماء البحر أجاج

شاعرة بأنفها ، مصفرة خدها ، مشبعة بصحكات السخزية والاستهزاء ...

يبدو أن كل من كان على شاكلة توان ، وقد حياه اقتبحداً حادراً وكان ضيق الصدر لا يلبث أن يذبل عوده ، ويسرى الهلاك ولا يلبث بعد هذه الضخامة أن يذبل عوده ، ويسرى الهلاك رويداً في بدنه ، ويقرب الموت إلى نفسه كما يسير القاص في هدأة الدجى ... فيطوح أولاً بذلك الشعر المجد ، ويتثنى إلى الأعضاء الزائدة ... ثم لا يلبث أن يذهب بما بقي ... هنا ما يجعلنا نقرر أنواهنادحاً لنقول : « يا إلهي ! أبطوح الموت مثل هذا الحجم ! » ولكن النية غفلت عن توان ... غفلت عن منظره الضخم الثير للضحك ... بل حبته صحة وقوة ... حبته طلمة مبهجة مؤنة ، فكان ذلك يثير حتى زوجته فتصيح : « رويدك أيها الرجل ، فسوف يأتيك منجمله من حيث لا تدري ... »

ألمت بتوان صدمة خلفته قعيد الفراش ، معاباً بالفالج ، وزم المارد المعجوز فراشه في غرفة صغيرة خلف الحانة ... حيث كان في مقدوره أن يحس ويسمع ما يدور حوله ، وأن يتبادل الحديث مع خلانه وراء الحائط ... وعلى الرغم من أن جسمه كان مقضياً عليه بدم الحركة ، فقد ظلت روحه الطروب على مرحها وسرورها . وكانوا جميعاً يأملون في أن تسترد أعضاؤه القدرة على الحركة والتنقل ولكن آمالهم ذهبت أدراج الرياح ... لحكم القدر على توان أن يمضي وقته في فراشه لا ينادره ... ولم يحاول أن ينتقل من مضجعه إلا مرة واحدة ، حيث استطاع بمساعدة اثنين من جيرته الهوض مستنداً إليهم ... لتبدل زوجته فراشه بآخر .

لم يكن يفارق مرحه وبشاشته إلا في حفور زوجته ، فإنه كان يبدو وديماً رزيناً كالطفل ... كانت تقول له على النوام « انظر إلى نفسك ... انظر إلى تلك الكتلة العديمة النفع . آه ! أنت تجلس في الفراش مستريحاً ، وعلى أن آتيك بما تود ... » فلا يسمعه غير الصمت ، وإفشاء طرفه ، ويتحامل على نفسه لكي يجلس في فراشه . وكانت الحركة الفريدة التي يأتيها هو أن يتقلب ذات اليمين وذات اليسار ... راح يستمتع بالإنصات إلى لفظ

نمائه النفس ؛ وثانياً : ينقصني تلك المدة التي يمكنها أن تسع ذلك الماء الطيسل .

عند ما ينقلب توان إلى زوجته ، تدور رحي الشجار بينهما فيبدأ فصل روائى لا يقل عن الفصول المسرحية روعة وبراعة ... لقد انصرفت على زواجهما ثلاثون عاماً ، لم ينقصر يوم واحد منها إلا والشجار حليفه ... والتي باعد شقة الخلاف بينهما هو الفرق البين بين روحه المرحه الطروب ، ونفسها العاصبة الصلابة . كانت امرأة رقيقة فارعة الطول تسير في خطوات طوال كأنها البجعة ، وقد منحها الله سحنة مقطبة عبوسة كالبيومة ، راحت تمضي وقتها بين دجاجها تنفي به وترعاه في قفصه خلف الحانة ... وقد ذاعت مهارتها في تربية اللجاج بين جيرتها . وكانت تتطفل على الولائم دون دعوة أو خشية لأثم ... ولا تجدها إلا حاتقة صاخبة ساخطة على العالم بأجمعه ... أما في الفينة الأخيرة فكل سخطها تركز على بعلها ... كانت تحقد عليه لبشاشته ومرحه ، لشهرته وصيته ، لسمحته ورهله ... وطالما نمت « بالاجن المحظوظ » لأن المال يأتيه طواعية دون كد أو جد في طلبه ... أو « الخنزير السمين » لأنه يأكل قدر ما يتناوله اثنا عشر رجلاً ... وقلما ينقضي يوم دون إثارة انفعالها وحققها ...

ابتدته يوماً صائحة : « انظر أيها النهم الشره ... انظر إلى نفسك وأنت تسير كالكتلة البشرية ... سوف تلهم الطعام الهاماً حتى يحل ذلك اليوم الذي تنفجر فيه بطنك كالخزعة من القمح ، وقد انقطع رباطها ... » فانطلق توان يقهقه وهو يرت على بطنه في رفق وهواة ، وما لبث أن قال وهو يلوح بذراعه : « آه ... أيها « العسا الرقيقة » لست أدري ما الذي يمنك من أن تسمى نفسك كما تملين مع دجاجك ... أتى لأتوق وأنت تقومين بذلك أيها المرأة » ورددت الجدران بعد ذلك صدى الضحك الذي انبعث من أفواه الحاضرين ... وقد جلسوا إلى الموائد الخشبية ، فيوغر ذلك صدر المرأة بالنيظ والحنق فتندفع قائلة : « تباً لكم أيها الكسالى ... فارجى منكم نفع ولا ضرر » ثم تقادر الحجرة

قال لها «روسبر» يوماً وكانت في سورة سخطها : « وبيدك يا سيدتي أنترين ما الذي أصنعه لو كنت مكانك ؟ » فثوقت برهة عن السب واللعن ، وصوبت إليه نظرة حادة — كمنظرة البومة — فواصل حديثه قائلاً : « إن حرارة هذا الطفل المعجوز كأنها الآتون المستمر . هذا ما أراه يا سيدتي ؟ انتفنى من هذه الحرارة بجعله « يفرّخ البيض » ! » ففكرت المرأة قائلاً من العجب وراحت تفكر ، ثم عاودت النظر إلى روسبر — ذلك الثعلب الماكر — فعاد يقول : « نضع تحت ذراعه خمس بيضات ... وخمساً تحت ذراعه الأخرى — كما تضعين البيض تحت الدجاج — وعند ما يفرّخ ، نأخذ الفراريج ونضعها للجاجة برعاها كما لو كانت فراريجها . ومن ثم يمكنك أن تحسدى قفصك بالدجاج . أما هذا بصحيح ؟ ! » فقالت المرأة وقد عمرها الدهول : « أو تظن أنها ستفزع يا روسبر ؟ ! » فأجابها على الفور : « دون شك ، فكما يفرّخ الدجاج في قفصه يستطيع زوجك أن يفرّخ في سريره ... »

كان لايحاء روسبر أثره الفعّال ... فبعد أسبوع حلت زوجة تـوان عشر بيضات في فضل رداؤها إلى زوجها القعيد ... وقالت : « لقد أرقدت اللجاجة الصفراء على عشر بيضات ، وما هي عشر بيضات أخرى لك ، فآخذ أن تحطمها ... » فقال تـوان بعد أن أفاق من وقع هذه الصدمة : « يا لله ! ما هذا ؟ ! أصاب عقلك لونه من الشيطان ؟ ! » فأجابته زوجته : « عليك بتفريخ هذه العشرة كما تفعل اللجاجة أيها الأبلة » فراح يضحك ، ولكن عند ما أحس لهجة الإصرار في صوتها لم يلبث أن ثار غضبه لاسمّان عزته وأخذ يلعنها ، ويمارضها في أن تتخضمين ذراعه مصنماً للتفريخ . فجن جنون المرأة وصاحت في عزم وحزم : « إذن لن تعرف للطعام سيلاً ما دمت لن تفرخ البيض ... ضمها ثم دعنا ننظر يازوجي العزيز » فراح يهددها بتحطيم البيض إن هي أدته منه ، فثأت عنه ... حتى دقت الساعة معلنة الثانية عشرة فصاح : « ويحك ! على بالعداء أيها المرأة ! » .

— « ليس هناك غداء لك ! أيها الخنزير المعجوز » وخيل إليه أولاً أنها تمزح فكك غير طويل ... ثم ما لبث أن رأى بسبب لعناته عليها وعلى النساء اللاتي يشيطون على أزواجهن

القوم في غرفة الشراب ، وإذا ما تعرف على صوت صاحب له صاح يناديه : « ألسن » ؟ ! إني هنا يا بني » فيجيبه سلسن « أنا خايتوان . أما تستطيع أن تنهض وتأتى إلينا ؟ ! » فيقول تـوان ثانية : « ليس في طوق أن أنهض ... ولكني في صحة جيدة . ولم أقعد عقلي بعد » وبعد هتية يدعو أصدقاءه المقربين إلى غرفته . ويتمتع برقتهم حيناً ، ولو أن منظارهم وهم يجرعون الخمر دونه يثير كوامن نفسه ... ويتغصه بعض الشيء . فيقول في تدمر : « أف لهذا الماء ، فهو الذي يعنى أن أتناول قطرة من راحي المتق . يا لئامسى » .

وتنظرون زوجته بشتة من النافذة فتصيح : « انظروا إليه ... انظروا إلى « الماكن المحظوظ » لقد أخذت على عاتق أن أطعمه وأصنع ثيابه ... وأنظفه وهو جالس كالخنزير » وعند ما ينسب وجه زوجته من النافذة ، يقفز إلى حاقها بعض اللجاجة حيث يأخذ في الصياح والتقاط فتات الخبز . ويغادره أصدقاؤه بعد أن يمدونه بالحضور في عصر كل يوم للتدبر معه ، ويستسمون إلى قعيد الفراش وهو يلقي عليهم فكاهاته التي تجمل الشيطان عينه ينطلق ضاحكاً ...

وظل ثلاثة من أصدقاؤه يحتلقون إليه على الثوم وهم : « سلسن مالويسل » وهو رجل مروق قصير كساق شجرة التفاح . و « روسبر هورسلافيل » وهو رجل دعوب ذو أنف محذب ، خصه الله بنجيب الثعلب ولسان لاذع سبكهم ، و « سيزار يومال » الذي لا يتيسر بينت شقة ، ولكن بلذ له أن ينصت إلى تـوان . وكانوا يحضرون معهم لوحة خشبية يطرحونها على السرير ليحضروا الوقت في لعبة الترد ... ابتداء من العصر حتى الساعة السادسة مساء ... لم تكن زوجة تـوان تطيق أن ترى بلها متهجاً مستغرقاً في اللعب ... فكانت كثيراً ما تهبط عليهم فجأة فتقلب اللوحة ، وتصبح أنها لا تطيق رؤية ذلك الثغر من الخنازير لا يجدون شاغلاً سوى الحضور إلى دارها للترفيه عن زوجها « خنزيرهم الأكبر » وكأنه الأمير لا يعفر قدميه في العمل الشاق التي تقوم بأجازه سحابة يوماً ... فيحني كل من : « سلسن مالويسل » و « سيزار يومان » هامته أمام الماصفة ، أما « روسبر هورسلافيل » فيأخذ في إثارتهما ، فكانت تصب عليه جام غضبها وحنقها ...

وبعد فترة من الزمن أخذ يركز اهتمامه على الدجاجة الصفراء في محضتها وطلالما سأل زوجته في قلق « أتناول طعامها اليوم » وزعت المرأة المعجوز وقتها بين زوجها وفرختها وأملها التي راودها أن ترى أفراخاً تنضم الحياة سواء أفرخ زوجها في القراش أو دجاجة في الققص ... وذاع الخبر في طول الريف وعرضه ، وأخذ الناس يفدون على « حانة الصداقة » من كل فج عميق . وهم تواقون إلى رؤية توان « راقداً على البيض » . كان يتجهون إلى غرفته بأطراف ساهرة - شاع فيها الجذ - وكانهم يدقون إلى غرفة مريض :

— « كيف أصبحت اليوم يا سيد توان ؟ » فيجيب :
« على ما يرام لولا أنني أخشى الحركة فأحطم البيض التي يلتصق بضلوعي » .

هرعت الزوجة ذات يوم إلى توان وهي تصيح : « لقد أفرخت الدجاجة الصفراء سبعة فراخ ، ومذرت الثلاثة الباقية » فتسارع الدق في قلب توان وهو يتبصر في العدد الذي سيفرخته هو ! وقال في صوت شاع فيه قلق المرأة حين ولادتها « أحسب أن نوبتي قد حانت ! » فرددت المرأة في اضطراب « أحسب ذلك » وما كاد يذاع أن ساعة توان قد أزفت حتى توافد عليه الزوار من كل صوب وحلب ليشاركوه شعادة الفوز ، وطفق الرقيقون يتحدثون عن توان ويطلقون الأبواب ليعلموا أحدث الأنباء . وعند الساعة الثالثة مساء غفى توان قليلاً كمادته ... ولجأة استيقظ على أصوات غريبة ، وأخذ يحس نقرات تحت ذراعه الأيمن ، فدأ يده اليسرى ، وأخرج مخلوقاً دقيقاً ، كسَى زغباً أصفر ، وراح يتلوى بين أنامله ، ولم كانت بهجة توان عندما صاح بأعلى صوته وأطلق الفروج على صدره ، وسرعان ما اكتظت الغرفة بالقوم أحاطوا به إحاطة النظارة يبطل من الأبطال ، وما كادت زوجته تدق إلى جانبه حتى أمسكت بالفروج الذي أوى إلى لحيه توان المعجوز ... وقاطر الرق على جبينه من الحيرة والعجب ، وهو يرتعد تحت تأثير شعور عميق ، وناجأهم ثانية وهو يدمدم : « هه ! ها هو فروج آخر تحت ذراعي اليسرى ! » غفقت يد المرأة تلتقطه من تحت الغطاء ... وفي حذر ومهارة القابلة أخرجت يدها بالفروج الثاني ... فتجمهرت الجيران حولها ، وأخذوا يتقلونه من كف إلى كف ، وهم يتطلعون إليه كأنه إحدى عجائب الطبيعة !

فيجعلن منهم لعبة في أيديهن ... وأخيراً راح يتوسل إليها وهو يتلوى ذات اليمين ، وذات اليسار . بيد أنه لم يجد في النهاية بداً من أن تضع خمس بيضات في القراش لصق مخلوعه اليسرى . وحينئذ أمكنه أن يتناول غذاءه ... وفي الماء حضر إليه الأسعداء ؛ فكان مسلكه غريباً حيالهم وكأن المرض يعثره ، ولم يجدوا منه إقبالا وبهجة للعب ، فقد كان يضع يده في حذر إلى جانبه عندما تمن له الحركة . فمأله هورسلافيل : « ماذا دهاك ؟ ! أذراعك يؤلك يا توان ! ؟ » فأجاب توان : « ينخل إلى ذلك كأنما أصاب أكتافى القنرس » ولجأة سمعوا لفظ ح كم المدينة ووكيله يلجون الحانة ، ويطلبون قنحين من الخمر ، ثم راحا يتحدثان في شئون البلدة .

وبينا هما يتحاوران في لهجة قانونية ، مد توان أذنيه إلى الحائط ليتمكن من الإصغاء ، وقد سها عن البيض . ونحرك إلى اليسار قليلاً حركة جعلت البيض يصير « كالمُجَّة » . فتهد توان في كآبة وكدر وهو يشتم النازلة . واندفعت زوجته إلى الغرفة ورفعت أغطية السرير . ووقفت تحديق هنية في ذمول نحو الخليط الأصفر الذي أخذ يسيل من ضلوع زوجها ، ثم انهالت في ثورة الجنون على الرقيد المفلوج لكما وضرباً في حرارة ونشاط ... أخذت يدها ترتفع وتنخفض ، وتبشر وتبمئن في ضربات قاسيات تهبط على بطن زوجها المنتفخ كأنها الأرنب يعمل يديه حفراً في الأرض ... وعلا هذه الضجة جرس القهقهة التي أخذ يطلتها وقفاؤه ، في رنة فرح وابتهاج ، وحاول الزوج المنكود أن يتق ذلك السيل من الخبط ، وقد انهمر عليه في تسوة غطم الخمس بيضات الأخرى مما زاد الطين بلة ...

عاش توان بعد ذلك يعمل للتفرخ فقط ... فخرمت عليه زوجته اللعب مع رفقائه ، لكي لا يأتي أى حركة طفيفة تحطم البيض فيعرض لقسوتها فقد كانت تخزمه من وجبة الطعام إذا ما شرخ بيضة واحدة . فاضطجع في فراشه عاجزاً عن الحركة ، تحديق عيناه في سماء الحجرة . وقد ضم يديه إلى ضلوعه مرشحاً ليجمل الدفا والحرارة تدرى إلى البيض ذى الكرفى الأبيض الهش ، لا يرتفع صوته إلا بالهس ... فقد كان يخشى الضجيج خشيته من الحركة ...

يسبقون على توان عبارات الإطراء والثناء ، أما الفروج العاشر والأخير ، فقد تقرر بيضته في الساعة السابعة تماماً ، وبذلك قدر لتوان أن يجوز ذلك الاستحان القاسي بنجاح باهر فرفق فيه النجاس نفسه ، فلم يسمعه إلا أن يقبل الفروج الأخير في رفق وحنان ... وبينما هو في نشوته يعجب من قدرته على إظهار هذه المخلوقات إلى حيز الكون ، لم تمله زوجته المعجوز ، بل قوضت عليه صرح هناءه « بمولوده السيد » ... والتفتت منه الفروج لتضمه إلى « باقي الأسرة »

أفحل عقد المتفرجين ، وأخذوا يتفرقون إلى دورهم مبتهجين معجبين بتوان وقدرته . وكان آخر من غادر الغرفة « بروسبرهوسلافيل » فسأل توان في خبث شاع فيه شيء من الهكم : « هه ! استدعوني عندما يسبق أول فروج ويُقدّم طاماً على المائدة ! » فأجابه توان ضاحكاً : « بلى ... وعلى الرحب والسمة يا بني »

مضت عشرون دقيقة دون أن يحدث شيء ، ثم أخذت أربعة فراريج تنقر كرفي بيضها ، وراحت صيحات العجب تتوالى من حين إلى آخر ، وتوان يزهر بقدرته الفائقة بين نظرات الإعجاب ، وراح يقول مداعباً : « لقد أفرخت ستة فراريج ، فلي إذن كلمة « التسديد » ... » . فانطلقت عاصفة الضحك من أفواه الحضور ، واستلأت الفرقة على آخرها بالرفيقين ، قفل معظمهم قائماً عند الباب ، وكل من يحضر يسأل في لهفة :

— كم أفرج إلى الآن ؟

— ستة فقط !

جملت زوجة توان « الأسرة الجديدة » إلى قفص النجاسة الصفراء ، حيث جعلت هذه تحبها — مع أفرانها — بعطفها وتكاؤها بناتها ، وتنظف ريشها ، وتضمها تحت جناحها لتدود عنها غائلة العدوى !

ثم لم يلبث توان أن صاح : « هه ! هذا فروج آخر » . ولم يكن هذا فروجاً واحداً ، بل ثلاثة فراريج مما جعل الحاضرين

مصطفى جميل مرسى

(ططا)

لجنة النشر للجامعيين أصدرت عام ١٩٤٥

قرشاً		قرشاً		
١٥	عادل كامل	١٥	مولاي محمد علي	محمد رسول الله
١٥	علي أحمد باكثير	١٥	عمود تيمور	عطر ودخان
٢٥	إبراهيم عبدالقادر المازني	١٥	علي أحمد باكثير	والإسلام
١٥	أمين يوسف غراب	١٥	سيد قطب وإخوته	الأطراف الأربعة
١٥	عبد الحميد جودة السحار	١٥	عبد الحميد السحار	أبو زر الفقاري (طبعة ثالثة)
٢٠	عمود عمود	١٥	علي أحمد باكثير	سلامة القس (طبعة ثانية)
١٠	لأوجست سترندبرج	١٥	وداد سكا كيني	مهايا الناس
	ترجمة وديع فلسطين	٢٥	الفونس دوديه	الشيء الصغير

تطلب من

مكتبة مصر — ٦٣ شارع النجيلة

وفي الخارج ١ — مكتبة المعارف (العراق) ٢ — مكتبة الطاهر اخوان (فلسطين) ٣ — المكتبة الأهلية (لبنان) ٤ — المكتبة السومية (سوريا) ٥ — المكتبة الوطنية (البحرين) ٦ — مكتبة الباب (شرق الأردن) ٧ — مكتبة كردفان (السودان)

ظهر مدينا كتاب :

وفاء عن السلافة

للاستاذ
أحمد عبد الوهاب

وقد زينت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إحارة « الرسالة » ومن المكاتب الشهيرة ونحوه ١٥ قرشاً

عاصفة من الضحك ... وموجة من المرح والطرب !!

في أعظم فكاهة للموسم

تا كنى ... حنطور

وضع موسيقاها وألحانها موسيقار مصر

محمد عبد الوهاب

اشتركوا فيها : محمد عبد المطلب — سامية جمال

فؤاد شفيق . محمد كمال المصرى . ماري منيب . أمينة محمد . اسماعيل يس . محمود شكوكو . سرك الحلو . أولاد عاكف

إخراج : أحمد بدرخان حوار : الايبارى إنتاج : فلم عبد الوهاب

يعرض بسينما رويال (القاهرة) وسينما فريال (بورسعيد) ٣ سبتمبر

سكك حديد الحكومة المصرية

خط مصر - بورسعيد

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه ابتداء من ٢١ أغسطس ولغاية ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٥ تسير عربة ديزل علاوة (دوجة أولى وثانية) بين القاهرة وبورسعيد كالآتي بعد :-

- ١ - يفادر الدور رقم ٩٤١ القاهرة في الساعة ١٤ ٥٠ ويصل إلى بورسعيد في الساعة ١٨ ٥٠
- ٢ - يفادر الدور رقم ٩٣٨ بورسعيد ٧ ٠٠ ويصل إلى القاهرة في الساعة ١٠ ٥٠ وذلك وفقاً للمواعيد الآتية :-

٩٣٨ عربة ديزل درجة ١ و ٢	المحطات	٩٤١ عربة ديزل درجة ١ و ٢	المحطات
٧ ٠٠	بورسعيد	١٤ ٥٠	مصر
٨ ٢١	وصول	١٥ ٣١	بها
٨ ٢٣	قيام	١٤ ٢٣	الزقازيق
٩ ٢٢	وصول	١٦ ٠٦	الاسماعيلية
٩ ٢١	قيام	١٦ ٠١	بورسعيد
١٠ ٠٧	وصول	١٧ ١٨	بها
١٠ ٠٩	قيام	١٧ ٢٠	الزقازيق
١٠ ٥٠	وصول	١٨ ٥٠	الاسماعيلية
			بورسعيد

(طبعت بمطبعة الرسالة بتاريخ ١٢/٨/٤٥ - عابدين)